مجمع الملك سلمان
العالمي للغة العربية
King Salman Global Academy for Arabic Language

السنة العاشرة - العدد التاسع عشر
ذو الحجة ١٤٤٥هـ - يوليو ٢٠٢٤م



The Arabic Linguistics Journal

دور التمثيلات الذهنية والجسدنة في بناء المقولة من منظور عرفاني

مجلة علمية مُحكمة تصدر عن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
www.ksaa.gov.sa



السنة العاشرة - العدد التاسع عشر
ذو الحجة ١٤٤٥هـ - يوليو ٢٠٢٤م



The Arabic Linguistics Journal

www.ksaa.gov.sa

مجلة علمية مُحكمة تصدر عن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية





المشرف العام على المجلة

أ.د عبدالله بن صالح الوشمي

إدارة التحرير

أ.د. ناصر بن عبدالله الغالي
رئيس التحرير

د. فيصل بن حمد الحربي
مدير التحرير

أ. نوف بنت فهد الخمشي
أمين المجلة

هيئة التحرير

أ.د. عبدالرحمن بن حسن العارف
أ.د. ناصر بن فرحان الحريص
أ.د. أماني بنت عبدالعزيز الداود
د. محمد بن لطفي الزليطي
د. منصور بن مبارك ميغري

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبد القادر الفاسي الفهري (المغرب)
أ.د. بسام بركة (لبنان)
أ.د. سعد مصلوح (مصر)
أ.د. علي القاسمي (العراق)
أ.د. محمود إسماعيل صالح (السعودية)
أ.د. محمد صلاح الدين الشريف (تونس)



لإسهاماتكم واستفساراتكم، نسعد بتواصلكم من خلال:

البريد الإلكتروني: arabiclisa@ksaa.gov.sa

المملكة العربية السعودية

www.ksaa.gov.sa

قواعد وأحكام النشر في مجلة اللسانيات العربية

صفة المجلة:

مجلة اللسانيات العربية (ISSN: 1658-9858) مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية بانتظام منذ ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م بنسختيها الورقية والإلكترونية، وتتيح النفاذ الحر Open Access إلى البحوث المنشورة فيها، ولا تتقاضى رسومًا على النشر. وتختص بالدراسات والبحوث التي تعنى باللسانيات العربية وفق أحدث نظريات اللسانيات النظرية واللسانيات التطبيقية، ومختلف جوانبهما الإجرائية، على مستوى اللغة وأصواتها، وبنيتها، وتركيبها، ودلالتها، ومعجمها، وبلاغتها، والنص والخطاب والثقافة والمجتمع، وما يخص تعليم اللغات وتعلمها، ودراسة اللهجات، والتخطيط اللغوي، واختبارات اللغة، وقضايا الترجمة، والمدونات اللغوية، والدراسات اللسانية المقارنة، والحوسبة اللغوية. وترحب المجلة بجميع المشاركات التي تأتي ضمن مجال اختصاصها واهتمامها.



بيانات المجلة:

مجلة اللسانيات العربية
مجلة علمية محكمة تصدر عن
مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية
الرياض - المملكة العربية السعودية
ردمد النسخة الورقية: ١٦٥٨-٩٩٥٥
ردمد النسخة الإلكتروني: ١٦٥٨-٩٨٥٨

Journal information:

The Arabic Linguistics Journal
A peer-reviewed bi-annual journal issued by
King Salman Global Academy for Arabic Language
Riyadh- Saudi Arabia
ISSN paper version: 1658-9955
ISSN Electronic version: 1658-9858

قواعد وإرشادات النشر

تنشر المجلة البحوث الرصينة ذات الطابع التجديدي، والمراجعات العلمية للكتب. ولغة النشر فيها هي اللغة العربية، مع إمكان النشر باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وأي لغة عالمية أخرى إذا رأت هيئة التحرير أهمية ذلك في خدمة اللغة العربية. وتُنشر البحوث فيها بعد أن تخضع لفحص لجنة تحكيم من ذوي الاختصاص، وتبدي رأيها في صلاحيتها للنشر أو عدمها.

وتُرسل البحوث المعدّة للنشر على البريد الإلكتروني للمجلة، بعد التأكد من تدقيقها لغويًا، وتنسيقها، ومطابقتها الكاملة لشروط النشر في المجلة، وهي كالآتي:

- تُرسل المشاركات في ملف بصيغة وورد word على ألا تقل صفحاته عن عشرين صفحة، ولا تزيد عن أربعين صفحة، ويكون ذلك على قالب / نموذج المجلة المعتمد والمتاح على موقعها الإلكتروني.

- يُراعى في البحث المرسَل أن يكون الخط المستخدم في الكتابة: Sakkal Majalla وفي المراجع الأجنبية والمشاركات المكتوبة بغير اللغة العربية : Times New Rom ، حسب المواصفات الآتية:

  - عنوان البحث: غامق (حجم ١٨).
  - العناوين الرئيسة والفرعية: غامق (حجم ١٦).
  - متن النص: عادي (حجم ١٤).
  - الهوامش: عادي (حجم ١٢).
  - المراجع العربية: عادي (حجم ١٤).
  - البحوث المكتوبة بغير اللغة العربية والمراجع الأجنبية: عادي (حجم ١٢) مع تغميق العناوين.

- يُكتب اسم الباحث في وسط أعلى الصفحة، ويثبت إلكترونيًا رقم أوركيد الخاص بالباحث ORCID عبر أيقونته iD، وفي أسفل الصفحة يُكتب اسم المؤسسة العلمية التي ينتمي إليها، والمدينة، والدولة، بخط Sakkal Majalla (حجم ١٢).
- في حالة تعدد المؤلفين، لابد من تحديد المؤلف المراسل في هامش الصفحة الأولى، وذِكْر بريده الإلكتروني.
- يلتزم الباحث بكتابة ملخص للدراسة في حدود ١٥٠ كلمة، باللغتين العربية والانجليزية، وبلغة الدراسة إن كانت بغير العربية مع ترجمة ملخصها إلى اللغة العربية، ويثبت الملخصان مباشرة بعد عنوان البحث.
- ضرورة إلحاق الكلمات المفاتيح Keywords بالملخصين العربي والإنجليزي، ويراعى فيها أن تكون موجزة، ومعبِّرة عن المضمون العام للبحث، ودقيقة في اختيارها، وتكون في حدود خمس كلمات.
- يلتزم الباحث بكتابة تاريخ إرسال البحث للمجلة، متضمنًا اليوم، والشهر، والسنة، وكذلك توثيق معلومات البحث وفق نظام APA في المكان المخصص في القالب.
- يلتزم الباحث بعناصر هيكل البحث، على أن يتضمن بيان أهدافه، وأسئلته، ومنهجيته المستخدمة، وعرض الدراسات السابقة ونقدها، إن تطلبت طبيعة البحث ذلك.
- يكون توثيق المراجع العلمية في متن البحث مشتملا على: لقب المؤلف، وسنة النشر، ورقم الصفحة (وفق طريقة التوثيق العلمي المتبعة في المجلة).
- تُكتب الإحالات العلمية والتعليقات جميعها بعد الخاتمة مباشرة تحت عنوان الهوامش Endnotes، وترتّب آليًا وفق تسلسل ورودها في البحث.
- تُكتب قائمة المراجع العربية وتليها الأجنبية بنظام APA على النحو الموضح في طريقة التوثيق العلمي المتبعة في المجلة.

- يلتزم الباحث / الباحثون بكتابة نبذة تعريفية عنه / عنهم، باللغتين العربية والإنجليزية بعد قائمة المراجع، متضمنة العنوان البريدي، على النحو الموضح في قالب البحث.
- لا يُذكر في أثناء البحث اسم الباحث، أو ما يشير إليه.
- يلتزم الباحث بتعديل البحث في ضوء ملحوظات الفاحصين وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز ٣٠ يومًا من تاريخ إرسالها إليه.
- تخصص مجلة (اللسانيات العربية) في كل عدد من أعدادها مساحة لمراجعة كتاب Book Review ؛ بهدف مواكبة ما يستجد نشره في تخصص اللسانيات العربية، واللسانيات بشكل عام. وفق الضوابط الآتية:
  - أن يكون الكتاب في تخصص المجلة، ومنشورًا في السنوات الخمس الأخيرة.
  - أن تحتوي كل مراجعة على مدخل (يكون على شكل فقرة paragraph) يُذكر فيه عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، ودار النشر التي نشرته، والسنة التي صدر فيها، وعدد صفحاته، وموضوعه الدقيق، ويُختم هذا المدخل بذكر الرقم الدولي المعياري الموحَّد للكتاب ردمك (ISBN).
  - أن تكون المراجعة علميةً موضوعيةً ناقدةً للكتاب، وليست مجرد عرض أو كتابة تقرير.
  - ألا يتجاوز عدد صفحات المراجعة ١٠ صفحات.

خطوات النشر في المجلة

- تكون المراسلة موجهة لإدارة تحرير المجلة بالمجمع، على البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة: arabiclisa@ksaa.gov.sa
- يخبر أصحاب البحوث الواردة بوصولها إلى المجلة خلال أسبوع من تسلمها.
- لهيئة التحرير صلاحية الاعتذار المبدئي عن البحوث الواردة إن كانت مخالفة لسياسة المجلة في النشر، أو خارج تخصصها واهتمامها، أو لأسباب علمية محددة.

- تعـرض نتيجـة التحكيـم علـى هيئـة التحريـر في اللقـاء الـدوري المخصـص للنظـر في التقاريـر العلميـة للبحـوث، والبـتّ في حـال تعـارض تقاريـر الفاحصـين، ويبلّـغ الباحثـون بالنتيجـة قبـولاً أو اعتـذارًا، مـع إرفـاق تقاريـر الفاحصـين.
- بعـد وصـول البحـث المعـدّل يُعـرض علـى هيئـة التحريـر، وفي حـال إقـرار نشـره يُرسـل للباحـث خطـاب الموافقـة علـى النشـر، ويُبلَّـغ بالوقـت المتوقـع لنشـر بحثـه.
- يخـبر أصحـاب البحـوث المقدمـة للنشـر بقـرار لجنـة التحكيـم بصلاحيـة نشـرها أو عدمـه خـلال مـدة لا تتجـاوز ثلاثـة أشـهر مـن تاريـخ وصولهـا لإدارة التحريـر.

أحكام عامة

- الآراء والمعلومـات الـواردة في البحـوث المنشـورة في المجلـة تعـبّر عـن رأي أصحابهـا، ولا تُمثِّـل بالضـرورة رأي مجمـع الملـك سـلمان العالـمي للغـة العربيـة أو المجلـة، ويتحمـل مؤلفوهـا المسـؤولية كاملـة عـن صحـة المعلومـات والاسـتنتاجات، ودقتهـا.
- يراعـى في أولويّـة النشـر في المجلـة تاريـخ اسـتلام البحـث، وتاريـخ قـرار التحكيـم، وتنـوع موضوعـات المشـاركات.
- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنيّة.
- قـرارات هيئـة التحريـر بشـأن البحـوث المقدمـة إلى المجلـة نهائيـة، وتحتفـظ الهيئـة بحقهـا في عـدم الإفصـاح عـن مسـوغات قراراتهـا.
- لا يجـوز للباحـث طلـب عـدم نشـر بحثـه بعـد إرسـاله إلى لجنـة التحكيـم إلاّ لأسـباب تقتنـع بهـا إدارة التحريـر، وإذا أصـرَّ علـى طلبـه بسـحب بحثـه، وعـدم متابعـة إجـراءات نشـره، فللمجلـة – إذا لـم تقتنـع بأسـباب ذلـك – مطالبتـه بدفـع النفقـات الماليـة المترتبـة علـى إجـراءات التحكيـم.

الآراء الواردة في أبحاث هذه المجلة تمثِّلُ رأيَ أصحابها، ولا تعكسُ – بالضرورة – رأي المجمع.

محتويات العدد



تتشرف هيئة تحرير مجلّة اللسانيات العربية بأن تضع بين يديك، أيها القارئ الكريم، عددها التاسع عشر. وهو عدد شامل ومتنوع، يضم موضوعات لسانية عديدة ويحكمه الإطار الشمولي لمسارات اللسانيات العربية التي تهتم بها هذه المجلة العلمية المحكمة.

وكما هي عادة المجلة، فإن أبحاث هذا العدد تغطي جوانب لسانية نظرية وتطبيقية تتوزّع على أربعة محاور مختلفة هي: المعجم والتركيب، ولسانيات المدونات، واللسانيات العرفانية والتداولية، واللسانيات الاجتماعية. وقد أسهم بها باحثون وباحثات من تونس والمغرب، وليبيا، والمملكة العربية السعودية، وتعكس تلك الأبحاث إلى حد ما خصوصيات البحث في هذه الأقطار المختلفة.

وقد حرصت المجلة دائما على التنوع مبدأً أساسيا تراعيه سواء في اختيار موضوعاتها ومحاورها وباحثيها، أو على مستوى تحكيم البحوث، فقد تجاوز تحكيم موضوعات هذا العدد نطاق المحليّة، إذ شارك في تحكيمها عدد من الأساتذة المتخصصين في الفروع اللسانية الدقيقة التي تمتّ إليها البحوث، ينتمون إلى أقطار عديدة ويمثلون تقاليد بحثية متنوّعة. وهو مبدأ أساسي تحرص المجلة على مراعاته رغبة في الوصول إلى حدّ مرضي من الموضوعية العلمية التي تنشدها.

بلغت نسبة البحوث التي قبلت للنشر في هذا العدد ٤٥,٤٥٪، وبلغت نسبة البحوث التي رفضت ٥٤,٥٥٪ ، أي أن أكثر من نصف البحوث التي وصلت إلى المجلّة خلال التحضير لهذا العدد قد اعتُذِر لأصحابها.

وعلى ما في هذا النهج الدقيق من الصرامة، فإنه يعكس سياسة التزمت بها المجلّة منذ أوّل صدورها، وستلتزم بها في جميع إصداراتها المقبلة، بإذن الله، وذلك حرصًا من هيئة التحرير على أن تحقق البحوث المنشورة في المجلة أعلى معايير الجودة والأمانة والموضوعية، ولتظل المجلة قِبلة للبحوث والدراسات المتميزة في مجال البحث اللساني العربي المعاصر، ولتَطلُّعها إلى أن تكون منفذ النشر اللساني الرائد في العالم العربي.

اشتمل هذا العدد على ثمانية موضوعات تَوزَّعت على أربعة محاور. وقد ضمّ المحور الأول المعنيّ بالتركيب والمعجم دراسة أولى بعنوان: «التكلس المعجمي من منظور تحويلي»، للدكتور عبد العزيز المسعودي، ثم دراسة بعنوان: «الخصائص الصرف – تركيبية لنسق النفي في اللغة العربية: مقاربة أدنوية»، للدكتور محمد التاري، وتلتْها دراسة بعنوان «المتماثل الصيغي ومعالجته في القاموسية العربية مع دراسة تطبيقية على معجم الدوحة التاريخيّ للغة العربية»، للأستاذ عبيد كونيجارات والدكتور محمد محمد يونس علي.

وتضمّن المحور الثاني المعنيّ بلسانيات المدونات، دراسة بعنوان: «استثمار لسانيات المدوّنات في صناعة المعاجم المدرسية»، للأستاذ حافظ معاشي والدكتورة حكيمة خمار. وتضمَّن المحور الثالث المعنيّ بالتداولية العرفانية دراسة بعنوان « انتظام معاني الكلام في الخطاب الأصولي: مقاربة تداوليّة: قراءة في » عمل التأثير بالقول « للدكتورة بثينة الخاوي، ودراسة بعنوان «دور التمثيلات الذهنية والجسدنة في بناء المقولة من منظور عرفاني» للدكتور عبدالعزيز آل حرز. وأما المحور الرابع، فقد ضمّ دراسة بعنوان « المطابقة النّحويّة والاكتساب اللّغويّ: بحث في تفسير أخطاء الوسم المطابقيّ عند الطّفل في ضوء النّظريّة الفطريّة » للدكتور لطفي بن البشير الذويبي. وتكتمل أبحاث العدد بمراجعة تحليلية نقدية لكتاب «دليل مُيسَّر إلى الفكر والمعنى» لراي جاكندوف، بقلم الأستاذ الدكتور عبدالرحمن البارقي.

أخيرا وليس آخرا، تجدّد مجلّة «اللسانيات العربية» تأكيد التزامها بمعايير النشر العلمي، إذ تواصل تقيّدها المنضبط بمجال تخصصها، والاقتصار فيما تنشر على البحوث اللسانية الجادة والرصينة التي تراعي الأصول العلمية المتعارف عليها في البحث والتوثيق.

ختاما، لا يفوتني أن أشكر الزملاء الأساتذة أعضاء هيئة التحرير الذين فحصوا جميع الدراسات، وقرروا مناسبتها للنشر في المجلة، وأوصوا بإرسالها للتحكيم، كما أشكر محرري هذا العدد سعادة الأستاذة الدكتورة أماني الداوود عضو هيئة التحرير، وسعادة الدكتور فيصل الحربي عضو هيئة التحرير ومدير تحرير المجلة، لجهودهما في متابعة عملية التحرير ومراجعتها، كما أشكر سعادة الأستاذ الدكتور ناصر الحريّص عضو هيئة التحرير على الجهود التي بذلها لمتابعة العدد، وكذلك سعادة الدكتور محمد لطفي الزليطني عضو هيئة التحرير الذي تولّى مشكورا المراجعة اللغوية النهائية لكافة محتويات العدد. والشكر موصول للزملاء الباحثين الذين شاركوا في هذا العدد، وآمل أن يستمر عطاؤهم، وأن يسهم آخرون في بحوث الأعداد القادمة، وأشكر الأساتذة الذين تَفضَّلوا بتحكيم دراسات هذا العدد، مؤمِّلا استمرارهم في تحكيم القادم من موضوعات المجلة. وإنّ المجلة لترحّب بمشاركات الباحثين في الوطن العربي وشتى أنحاء العالم وتسعد بتواصلهم معها لنشر أبحاثهم في أعدادها المقبلة.

رئيس هيئة التحرير



مجلة اللسانيات العربية، العدد ١٩، ذو الحجة، ١٤٤٥هـ
ردمد (ورقي): ٩٩٥٥-١٦٥٨ ردمد (رقمي): ٩٨٥٨-١٦٥٨
The Arabic Linguistics Journal, No. 19; july, 2024
ISSN: 1658-9955 E-ISSN: 1658-9858
arabiclisa@ksaa.gov.sa

دور التمثيلات الذهنية والجسدنة في بناء المقولة من منظور عرفاني

The Role of Mental Representations and Embodiments in Creating Categories: A Cognitive Perspective

المعرف الرقمي: https://doi.org/10.60161/1482-000-019-006

عبدالعزيز بن علي آل حرز
الإدارة العامة للتعليم بالمنطقة الشرقية، وزارة التعليم، المملكة العربية السعودية

توثيق البحث APA Citation:

آل حرز، عبدالعزيز. (2024). دور التمثيلات الذهنية في بناء المقولة من منظور عرفاني. *مجلة اللسانيات العربية*، *19*، 152-174.

استقبل في: 10-05-1445/ **رُوجع في:** 29-09-1445/ **قُبل في** 08-11-1445/ **نُشر في:** 25-12-1445

Received on: 2023-11-24 / **Revised on:** 2024-04-08 / **Accepted on:** 2024-05-16 / **Published on:** 2024-07-01.

الملخص

تُعدّ المقولة من أهم المباحث التي بُنيت عليها بعضُ الأطروحات الفلسفية؛ ويُحاول هذا البحث أن يعالج مفهوم المقولة من خلال الإجابة عن سؤالٍ مُشكلٍ حول أثر التمثيلات الذهنية والجسدنة في بنائها. ويهدف البحث إلى: أ- تجلية مفهوم المقولة من خلال الشروط النمطية بحسب طرح جاكندوف. ب- إبراز الدور المركزي للتمثيلات الذهنية في بناء المقولة. ج- بيان المركزية الجسدية في فهم الأشياء وتصنيفها. ويناقشُ البحث كيفية التمثيل الذهني للأشياء، عبر وسائط عرفانية، مثل الأنظمة المحيطية والتجارب المادية والإدراك الحسي والقبليات. ويخلص إلى نتيجةٍ مفادُها أن عمل الذهن في تمثيله للأشياء لا يخرج عن قصديّة معقّدةٍ أسهمَ التخييلُ واللاوعي المعرفي وتلك الوسائط العرفانية في بلورتها لغويا.

الكلمات المفتاحية: التمثيل الذهني، المعجم الذهني، المقولة، العرفان المُجسدن ، القصدية

Abstract

Categorization is one of the most important foundations of philosophical theses. This paper attempts to address this concept by answering a problematic question about the effect of mental and embodied representations on its construction. Its aim is to: a- Clarify the concept of categorization according to Jackendoff; b- Focus on the central role of mental representations in constructing categorization. c- Explain the centrality of the body in understanding and classifying things. It also discusses how to mentally represent things through cognitive media, such as peripheral systems, physical experiences, sensory perception, and a priori. It concludes that the representation of things in the mind is the result of a complex set of elements combining imagination, cognitive subconscious, and the cognitive media which contribute to their crystallization in language.

Keywords: Mental representation, mental lexicon, categorization, embodied cognition, intentionality.

©2024 حقوق النشر والملكية الفكرية محفوظة لمجلة اللسانيات العربية وللمؤلفين بموجب ترخيص:
Creative Commons Attribution 4.0 International License.


1. المقدمة

يروم هذا البحثُ الإجابةَ عن سؤال مركزي، هو: كيف تُنشئ التمثيلاتُ الذهنيةُ المقولةَ من منظورٍ عرفاني؟ إذ إنّ المقولة موضوع شغل الفلاسفة قديمًا وحديثًا، بيد أنّ المقولة العرفانية خرجت عن مفهومها الأرسطيّ، وكذلك عن المفاهيم الفلسفية الغربية التقليدية، لتتخذ منحًى مغايرًا يجعل من الجسد والتصورات والتخييل واللاوعي مقومات مهمّة تستحثّ بناء تمثيلٍ ذهنيّ يصوغ المقولة في قالب لغويّ.

وقد عمدنا للإجابة عن هذا السؤال إلى استكناه مفهوم المعنى في الدرس العرفاني، وأثر الأنظمة المحيطيّة في تكوين المعنى والتمثيل الذهنيّ، وإلى تجلية طرح جاكندوف في إبداعية المقولة من خلال الشروط النمطية وأثرها في اتساع المعجم الذهنيّ؛ ممّا يفسّر كيفية استرجاع المعلومات المخزّنة في الذهن عند إنشاء التمثيل التصوري والنفاذ للمخزون اللغوي في الذهن. وحاولنا تفسير هذا الاتساع في التمثيل الذهني من خلال أطروحة قصديّة الأفكار أو عَنِّيّتها (aboutness)، وكيف أن الذهن يتجه إلى فكرةٍ ما عند إنشاء المقولة، فليست الإسقاطات اللغوية اعتباطية.

فكيف يتشكّل المعنى؟ وهل للجسد دورٌ في تكوينه في أذهان المتكلّمين؟ وإذا كان المعنى يمتلك بنيةً ذهنيّةً تنطلق من الجسد، فما الذي يُسهم في نشوء هذه البنية الذهنية ممّا يجعل اختلافَنا في إضفاء معنى على الأشياء مبرّرًا؟ وإذا كان للمعلومة الذهنية مصوغاتٌ عدّةٌ فكيفَ يُنظر إلى مفهوم الصدق وارتباطه بالتمثيل الذهنيّ؟

2. كيف يتشكّل المعنى؟

عُنِيَتْ كثيرٌ من النظريات اللسانية والفلسفية بالبحث عن كنه المعنى[1]، إذ عُدّ التساؤل التالي: (كيف يتشكّل المعنى؟) تساؤلاً مركزيًّا، يجب على أيّ نظرية دلالية الإجابة عنه (غاليم، 2010، ص7). وقد كان واضحًا أنّ المعنى - بحسب التصوّر الأرسطيّ - هو إحاليّ على ما هو بالخارج، فوجود الأفكار متوقف على وجود مصاديقها في الخارج (مفيد ، 2020، ص102)، أي إنّ معنى الأشياء متقوّمٌ بما هو موجود متحقق في العالم. إلاّ أنّ هذه النظرةَ لم تسلم من النقد والإشكالات، لاسيّما فيما يتعلّق باختلاف تصورات الأفراد حول ذلك الشيء في الخارج، ويلزم من ذلك أن يُشكَل على مفهوم الصدق الموضوعي الصارم؛ مما حدا بدراسات حديثة لتؤكد أن المعنى إحالي تصوّري نسبيّ وليس قائمًا على شروط الصدق في المنطق الأرسطيّ (المقدميني، 2019، ص98)، وأن المعنى موجود في الذهن، وليس كما ذهبت النظرية الأفلاطونية من أن المعاني أشياء مجردة موجودة بصفة مستقلة عن الأذهان (جاكندوف، 2010، ص212).

وتُعدّ النظرية العرفانية من أبرز النظريات الحديثة التي نقضت التصورين الأفلاطوني والأرسطي، إذ ذهبت إلى أن معنى الشيء ليس مستقلا عن الذهن، وأنّه لا يُحيل على الخارج، بل على الكيان والعالم كما يتصوره المتكلم، أي هو يُحيل على تصوّر ذهن المتكلّم لذلك الشيء. فإحالة العبارات اللغوية ليست على العالم الحقيقي، بل على العالم المُسقَط (جاكندوف، 2010، ص97)، والمراد من العالم المسقط هو ما أنشأه الذهن من تصورات حول ذلك الشيء، أي هو فهم الذات المُتَصوِّرةِ للشيء. ويمكن توضيح كيفية الإحالة التصورية وفق القاعدة التالية: "يحكم المتكلم (م) في اللغة (ل) على العبارة (ع)، المقولة في السياق (س)، بأنّها تُحيلُ على الكيان (ك)، فالعالم، كما يتصوره (م)" (غاليم، 2010، ص21)، فحين يُعبّر المتكلم عن شيءٍ ما فإنه إنّما يُضفي عليه من تصوّراتِه التجريبية، أي إنّ قِوامَ المقولة Categorization يكمن في الإحالة التصورية، وهذه "تابعةٌ

في أساسِها لمستعمل اللغة الذي لا يُمكنه أن يُحيل على كيانٍ معيّن دون أن يكون له تصور معين عنه" (المرجع السابق، ص21)، إذ لا يمكن أن يتكوّن تصوّر حول ذلك الكيان إلا بإعمال التخييل؛ لذلك يجدر الوقوف على ماهية الدلالة التصورية التخييلية، وتمثيلاتها الذهنية وأثرها في مقولة الأشياء وإنتاج المعنى.

وإنّ أهمّ ركيزة فلسفية اتكأت عليها الدلالة العرفانيةُ التصورية وغيّرت بها مسار البحث الدلاليّ، هي ركيزة "التجسّد"، التي جعلت الدلالة ليست بمنأى عن تصوّرات المتكلم الذهنية المتمركزة على الجسد (لايكوف وَجونسون، 2016، ص37) ، فالذهن لا يستطيع أن يتصوّر الأشياء إلا من خلال الجسد. وقد أسهمت هذه الركيزة الجسدية في تقويض عددٍ من الأطروحات الفلسفية التقليدية، كالتي تفصل بين ما هو ذهني وما هو جسدي كثنائية «ديكارت» (Descartes)، أو التي ترى تعاليًا للعقل على الجسد كأطروحة «كانط» (Kant) في تعالي العقل. فالتجسيد التصوّري يُصحّح بعض المفاهيم الفلسفية الخاطئة - كما ذهب إلى ذلك العرفانيون. (المرجع نفسه، ص39). [2]

إذن فالدلالة العرفانية لها مبادئ تختلف عمّا هي عليه في النظريات التقليدية، ونظرًا إلى اعتمادها على الذهن المجسدن، فهي تنفتح على التأويل التصوّري، أي إنّ المعنى ليس في الخارج، بل هو قابعٌ في الدماغ، فالذهن يعالج المُدخلَ ويشفّرُه بناءً على معلوماتٍ ومعارف عديدة تتمركز على الفهم المتجسّد فيكون المخرج مكسوًّا بمعنى جديد تحدده الخبرة الجسدية.

ومن أهم المبادئ والاقتراحات التي تُوجّه الدلالة العرفانية التصورية نحو مسار خاص يميّزه عن غيره من الممارسات والنظريات والمقاربات، ما ذكره كلٌّ من «فيفيان إيفانز» (Vyvyan Evans) و«ميلاني جرين» (Melanie Green)، وهي: (إيفانز، وجرين، 2017، ص ص79-85)

أ- البنية التصورية بنية متجسدة: حيث يسعى أصحاب علم الدلالة العرفاني إلى اكتشاف طبيعة التفاعل البشري المجسّد مع العالم الخارجي والوعي به. فبالتجربة الجسدية نختبر العالم ونفهمه؛ إذ إنّ الخبرة الجسدية المرتبطة بالبنية التصورية جزءٌ مما يجعلها ذات معنى، وضرب الباحثان في توضيح ذلك مثلاً (لرجلٍ محبوسٍ في غرفة) إذ إن الرجل قابعٌ في وعاء هذه الغرفة، ونتيجةً للتجربة الجسدية فإن هذا المثال على الاحتواء متأتٍّ من العلاقة الجسدية المتفاعلة مع الخارج، إنّ تصوّر الاحتواء (داخل - خارج - مَعلم) يتأسس على التجربة الجسدية مباشرة بالتفاعل مع المعلم المحدود؛ لذلك فإنه بإمكان البنية التصورية أن تعطي نهوضًا لأنواعٍ من المعاني بتجريدٍ أكثر، وهذا ما يُفسّر كون المقولة العرفانية ذات ثراء دلاليّ.

ب- البناء الدلالي هو بناء تصوري: فاللغةُ تشير إلى تصورات في ذهن المتكلّم أكثر من إشارتها أو إحالتها على الأشياء في العالم الخارجيّ. وبعبارةٍ أوضح فإنّ الدلالة اللغوية اللفظية هي متكافئة مع التصورات الذهنية التي هي بالضرورة مجسّدة وخيالية، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الإحالة لا تعني مطابقة البنية الدلالية بالبنية التصورية، بل هي تُحيل على كيفية فهم الذات المُتصوّرة من خلال التجربة الجسدية والخيالية الاستعارية، حيث يزعمُ علماء الدلالة العرفانية أن المعاني المرتبطة بالكلمات لا تشكّل إلا مجموعة فرعية من التصورات الممكنة، وهذا يؤكد أنّ جملة التصورات المعجمية ما هي إلاّ مجموعة فرعية من التصورات الكلية الموجودة في ذهن المتكلم، فالدلالة العرفانية تتمتّع بثراءٍ معنوي تصوري كبير.

ج- تمثيل المعنى الموسوعي: يشير هذا المبدأ إلى أن البناء الدلالي موسوعي بطبيعته، وأنّ المعنى ليس قاموسيًّا فحسب، فالكلمات لا تُمثّل رزمًا مكدَّسةً خالصة للمعنى القاموسي، لكنها تشتغل بصفتها نقاط دخول أو منافذ إلى مستودعات شاسعة من المعرفة المترابطة والمتشابكة بتصورٍ خاصٍ أو مجالٍ تصوري معين.

د- تأويل المعنى من طريق التصوّر: وهذا المبدأ يؤكّد حقيقة أنّ اللغة لا تُشفّر المعنى، بل إنّ الكلمات هي مجرد "مُثيرات" أو محفّزات لبناء المعاني فحسب، وبناءً على ذلك فإنّ بناء المعاني يتمُّ على مستوى التصوّر.

فالدلالة التصورية ليست تمثيلا لماصدقات extension[3] في الخارج؛ ذلك لأنّ الشيء المتحقق في الخارج له صورةٌ خاصّة في ذهن المتكلّم، أي إنّ له تمثيلاً ذهنيا، فدلالة الشيء الواحد تختلف وفقًا لاختلاف التمثيلات الذهنية من شخص إلى آخر (صالحي، 2020، ص125). وبناءً على ذلك فإنّ الرموز اللغوية/المقولة للأشياء تبَعًا للنظرية التصورية العرفانية هي تمثيل ذهني، بخلاف ما هي عليه لدى التيار الموضوعي الكلاسيكي.

وقد بيّن «لايكوف» (Lakoff) أن التيار الموضوعي - وهو تيار أرسطيّ في الأصل - يرى أن التمثيلات الذهنية تكتسب معناها من خلال تقابلاتها مع الواقع الخارجي، وأنّ الرموز التي تتقابل مع العالم الخارجي هي عبارة عن تمثيلات داخلية لواقع خارجي (لايكوف، 2012، ص ص 323-325). فمثلاً مقولة (الطير) لها سماتٌ من قبيل (له جناح، يطير، له منقار...) ويجب أن تنطبق على جميع الأفراد، هي انعكاسٌ لتحقق خارجي يمثّله كيانٌ خاص، لا يختلف مدلولها مهما اختلف الأفراد. غيرَ أنّ هذه النظرة الموضوعية للمقولة باتت قاصرةً، وقد وُجّهت ضدّها انتقاداتٌ عدّة، من قبيل صعوبة استقراء جميع الأفراد في المقولة، وكذلك وجود بعض السمات التي قد لا تنطبق على بعض الأفراد، كالبطريق حيث عُدّ من مقولة الطير (البوعمراني، 2009، ص ص 18-23)

إنّ المقولة - كما أكّد «لايكوف» - هي قضيّة محوريّة بالنسبة إلى العلوم العرفانيّة، مشيرًا إلى ما توصّلَتْ إليهِ عالمة النفس «إلينور روش» (Eleanor Rosch)، حيثُ استبدلَتْ بالنظرةِ التقليديّةِ التي تسِمُ المقولات بناءً على الخصائص المشتركة بين الأفراد، - استبدلت بها - نظريّةَ الأطرزةِ ومَقُوَلاتِ المستوى القاعديّ (لايكوف، 2012، ص322)

ويُقصَدُ بالطراز prototype: النمط الأول، وهو يعني أفضلَ ممثّلٍ لمقولةٍ ما، فهو النموذج والنمط الذي يشتملُ على أبرز خصائص مجمل أفراد المقولة. وقد مرّتْ نظرية الأطرزة عند «روش» بمرحلتين اثنتين: أُولاهما: نظرية الأطرزة الأصلية Theory Standard، وفيها تقتضي المقولةُ وجود طراز يمثّل في الذهن مرجعيةً عرفانيّةً ترتب فيها أفراد المقولة ترتيبًا تفاضليًّا نتيجة لدرجة مشابهة الطراز. والأخرى: النظرية الموسَّعة Theory Extended، وتقوم على مدى التشابه الأسريّ ولو في خصيصة واحدة بين المعنى المركزي أو القاعدي للمقولة، والمعنى المشتق اشتقاقًا استعاريًّا أو مجازيًّا. (صولة، 2002، ص ص369-371)

إنّ النظرية الموسّعة القائمة على التشابه الأسريّ، وسّعتْ من أفق المقولةِ، ليدخل في بَنْيَتِها في الذهن التخييلُ والتجربةُ الجسدية، وهذا يفضي إلى اتساع في المعنى، مما يضعُ تساؤلاً مهمًّا حول مرجعيّة الرموز اللغوية وتمثيلاتها الذهنية وتحققاتها في الخارج، فإذا كان للتخييل المجازيّ دورٌ في انبناء المعنى فكيف يحيل الرمز اللغويّ على مرجعٍ ما؟

وكما ذكرنا فإن التمثيلات الذهنية للمقولة وفق النظرية الموضوعية الكلاسيكية تكتسب معناها بالإحالة على متحقق في الخارج، وليس للآليات الخيالية، أو التشابه الأسري ولو في خصيصة واحدة، أيُّ دورٍ في اكتساب المعنى، فالإحالةُ موضوعيّةٌ منطبقةٌ على كيانٍ ما في الخارج، أي هي تتم على مستوى اللغة لا الذهن التخييلي.

بيْدَ أنّ التمثيلات الذهنية - وفق النظرية العرفانية - تكمن الفكرة الأساسية وراءها في "أنَّ حَلّ المرجعية لا يتم على مستوى اللغة أو الخطاب، ولكن على مستوى أكثر تعقيدًا من تمثيلات المرجع، والتمثيلات الذهنية" (موشلر، وريبول، 2016، ص170)، وهذا التعقيد بسبب ارتكاز مرجعية الرمز على آلياتٍ تخييلية متمركزة على التجربة الجسدية؛ مما يعني أنها خاضعةٌ للتأويل وللثراء الدلاليّ، إذ إن تمثيلات المرجع تخضع لمقوّمات عدة من قبيل التجربة الاجتماعية والقبليات والمعتقدات وغيرها. وإنّ تلك المقوّمات العاملة داخل الذهن قد تجمع بين شيئين مختلفين في مقولة واحدةٍ بناءً على التخييل المجسدَن، وقد أكّد ذلك «راي جاكندوف» (Ray Jackendoff) - تبعًا لنظرية روش الموسّعة - إذ يرى أنّه لا وجود لحكم دون تمثُّل، كما لا يمكن تناول المقولة باعتبار تشبيه الشيء ببعض مكوناته في الخارج، بل ينبغي للتشبيه أن يكون بين التمثيلات الداخلية (جاكندوف، 2010، ص163). وبناء على ذلك فإنّ المقولة وفق المنظور العرفاني هي أكثر اتساعًا؛ نظرًا إلى كون التشابه بين الأشياء تشابهًا ذهنيًّا تخييليًّا تعمل بعض الأنظمة المحيطية في تكوينه، وليس ذلك لتحقق التشابه واقعيًّا بين الأفراد في الخارج.

3. التمثيل الذهني والأنظمة المحيطية:

لا يمكن أن ينشأ تمثيلٌ ذهني بمعزِل عن العالم ومدركاته، وعن الأنظمة المحيطية كالحواسّ والإدراك المجسدَن والتجربة الجسدية؛ لذلك فإنّ الدلالة العرفانية تنسجم مع التمثيل الذهني والمعلومات الذهنية التي تكوّنت من خلال الحواسّ ومدركاته والتخييل.

وقد ذكر باحثو النظرية الدلالية شروطًا أساسيّة، ذكر «جاكندوف» أربعةً منها ثم أضاف عليها قيدين اثنين. فأما الشروط الأربعة فهي: (المرجع السابق، ص ص 59-68)

أ- التعبيرية: أي أن تكون هذه النظرية قادرة على التعبير عن جميع وجوه التمييز الدلالي في اللغة الطبيعية.

ب- الكونية: أن يسهل ترجمة الجمل من لغة إلى أخرى، فتتشاركان في المعنى.

ج- التأليفية: أن توفر هذه النظرية قواعد لتأليف أجزاء الجملة.

د- الخصائص الدلالية: أن تكون قادرة على تفسير هذه الخصائص كالترادف والشذوذ...

وأمّا القيدان اللذان أضافهما «جاكندوف» على النظرية الدلالية فهما:

هـ- القيد النحويّ: ويبحث هذا القيد في العلاقة بين التركيب والمعنى ويرسم روابط توافق بينهما.

و- القيد العرفاني: حيث لا بدّ من مستويات من التمثيل الذهني، تنسجم فيه المعلومة اللغوية مع المعلومة الآتية من الأنظمة المحيطية مثل الرؤية والسماع.

فللسماع والإدراك البصريّ أثرٌ في التمثيلات الذهنية، إذ إن المعلومة اللغوية مرتبطة بمدركات حسيّة، ومعنى ذلك أنّ المقولة لها مرجعية بصرية حسية، بحيث يكتسب المُدخَل صورة شبيهة لما أدركه البصر أو الحسّ وفق تشابه داخلي بين الأشياء، ثم يُضفي عليه المُقولُ فهمَه المنبني بصورةٍ آليّة في لاوعيه.

وبهذين القيدين الأخيرين النحوي والعرفانيّ تكتسب الدلالة مفهومًا جديدًا مغايرًا، فليست دلالة الأشياء تحيل على مصداق في الخارج لا دخل للأنظمة المحيطية في بلورته، بل غدت الدلالة في المفهوم العرفاني تنحو منحى متسعًا، فدلالة الشيء



- وفقًا لذلك - ستكون نسبيّةً تتحكّم فيها القدرة التخييلية التمثيلية الذهنية لدى الذات المقولِة؛ إذ إن هذه القدرة التخييلية تعمل بعض الحواسّ كالرؤية والسماع في إحالة المفاهيم على صورة الشيء في الدماغ وفهمه للمصداق في الخارج.

إذن فإنّ الدلالة العرفانية هي دلالة نفسانية[4] عصبية في المقام الأوّل؛ ذلك لأنّ التمثيل الذهني يعقد روابط بين المعلومة اللغوية والمعلومة النفسانيّة التي تنشأ بفضل عوامل عدّة، وهذا ما أكّده «جاكندوف» في إشارته إلى أهمية القيد العرفاني بأنّه "تقريرٌ محدّدٌ عن الحقيقة النفسانية للمعلومة اللغوية، وهو يربط كذلك بين النظرية اللغوية والنظرية العرفانية" (المرجع السابق، ص70)، فعمليّة إدراك الأشياء هي عملية ذهنية نفسيّة عصبيّة؛ مما يعني أنّ دلالة الأشياء ليست بمعزلٍ عن فهم الذات وعلاقتها بمحيطها وبالعالم.

إنّ المعلومات الذهنية مرتبطة بالجهاز العصبيّ، وبعض تلك المعلومات تمثل المعلومة المشفرة في الذهن (المرجع السابق، ص 78)، إذ إنّ هذا التشفير تكشف عنه الأبنية اللغوية عند إنشاء المتكلم لاستعارات وتشبيهات - في كثير من الأحيان- بصورةٍ آلية غير واعية؛ لأنّ تلك المعلومات يخزّنها الذهن ويُشفّرها آليًّا، وتُستدعَى عند الحاجة آليًّا أيضًا دون أن يكون هناك مجهود ذهني في معالجة المعلومة وإنشاء الاستعارة، وهذا ما يُفسّر كون الدلالة العرفانية ذات منحى نفسي عصبي.

فالتمثيل الذهني للمعلومة لا ينفكّ عن الإدراك الحسّي والمركزيّة الجسدية، فبأجسادنا نعي الأشياء جيّدًا فنفهم العلوّ والدنوّ والأمام والخلف وغيرها من خلال مركزية أجسادنا، كما أنّ الإدراك الحسّي له دورٌ كبيرٌ في تلك التمثيلات الذهنيّة، فهو يُنتج - بحسب المدرسة الجشطالتية في علم النفس - تفاعلا بين المدخل البيئي والمبادئ العاملة في الذهن التي تفرض بنية على ذلك المدخل (المرجع السابق، ص78)، فيُحيلُ المُدخَل على صورة الذهن لذلك الشيء في الخارج، فيغدو المُخرَجُ تمثيلا لغويًّا للصورة الذهنية للشيء، وليس لذات الشيء في الخارج.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الإجراءات الذهنية التي تفرض بنية على المُدخل هي آلية وغير واعية في الآن نفسه (المرجع السابق، ص80)، مما يبرهن على أنّ معالجة المعلومات هي معالجة سريعة وآلية ليست مُتكلَّفة، بحيث يعقد الذهن روابط غير واعية ما بين المعلومة اللغوية والمعلومة الذهنية المشفّرة عبر الأنظمة المحيطية والإدراك الحسّي، فالعلاقة وشيجة ما بين اللغة وفهمنا للأشياء، وهذا ما أكده العرفانيون مثل كل من «لايكوف»، و«لانقاكر» (Langacker)، و«تيلر» (Taylor)، مشيرين إلى أنه لا يمكن الفصل الصارم ما بين اللغة والإدراك أو بين الدلالة ومعرفة العالم (شفارتس، 2018، ص11).

فدلالة الأشياء في هذا العالم تُبنَى من خلال تفاعلٍ بين المعلومة اللغوية ومعرفتنا للشيء وتصوراتنا الميتافيزيقية حوله، وهذا ما حدا بالعرفانيين إلى الاهتمام بالمعنى، مؤكّدين أنّه "يكمن في تفاعل الإدراك الإنسانيّ مع التجربة، ومع التواصل الإنساني، ومع التطور البيولوجي، ومع التطور الثقافي" (محسب، 2017، ص11)، ولا يُمكن النظر إلى المعنى بوصفِهِ دالًّا معجميًّا فحسب، فالمعجميةُ لا تمنح الكلمات والأشياء إلاّ جانبًا من المعنى، إذ إن تمثيل المعنى ذهنيًّا يتطلّب أنسقةً كاملةً من التصوّرات.

وإذا كان الطرح الموضوعي الأرسطيّ للمعنى والمقولة يفصل ما بين اللغة والإدراك، أي يفصل ما بين البنية اللغوية والتمثيل الذهني والأنظمة المحيطية والتفاعل مع هذا العالم، باعتبار أن معنى الشيء يكمن في تحقق مصداقه في الخارج أي إن الفكر الموضوعي هو انعكاسٌ لما في الطبيعة فالرموز هي تمثيل داخلي لما هو خارجي (موشلر، وريبول، 2010، ص413)، فإنّ الطرح التجريبي العرفانيّ يعتبر المعنى مرتبطا بإسقاط خيالي يستعمل آليات مثل الكناية والاستعارة، تتيح للإنسان أن ينقل ما يقوم بتجربته بكيفية مُبَنْيَنَة إلى نماذج معرفية مجرّدة (لايكوف، وجونسون، 2009، ص11)، بحيث تكمن دلالة الأشياء في

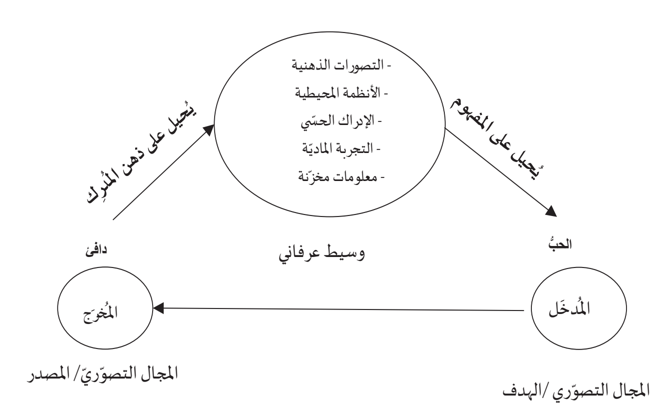
تمثيلها الذهني المتمركز على آليات الإسقاط الخيالي المُجَسْدَن، حيث يمكن عدّ آليات الإسقاط هذه هي الميسم المائز للعرفانية عمّا سواها.

فبآليّات الإسقاط التخييليّة المجسدنة يمتلك الكائن البشري نظامًا عرفانيًّا بوساطته "يمكن أن يُنتج سلوكا مفيدا بشكل مقصود، بأوسع معنى، لأنه يمتلك تمثيلات عقلية، يمكن أن تُفعّل أو تُستعمل بواسطة عمليات إدراكية معينة" (شفارتس، 2018، ص11)، تؤدّي إلى إنتاج المعنى، من خلال التفاعل بين المعلومة اللغوية والمُدرِك لها وفهمه وتصوراته عن ذلك الشيء.

إذ إنّ الذات المدرِكة تُنتج معنى إسقاطيًّا جديدا للأشياء من خلال ذلك التفاعل، وهذا ما أكدته العرفانية من أنّ البنية اللغوية لا تُحيل على المصداق في الخارج مباشرةً بل هي تُحيل على فهم الذات المُمَقوِلة وتصوراتها لذلك الشيء في الخارج، فيكون المعنى تمثيلًا ذهنيًّا تُسهِم الأنظمة المحيطيّة والإدراك الحسّي في انبنائه؛ "فليس لدينا مدخل واعٍ إلا للعالم المسقط - كما ينظمه الذهن بطريقة لا واعية - ولا نستطيع الحديث عن الأشياء إلا إذا كان لها تمثيل ذهني من خلال عمليات التنظيم تلك " (جاكندوف، 2010، ص87).

ومعنى تنظيم الذهن بطريقة لا واعية، هو أنّ الذهن يعقد روابط وتشابهات إسقاطيّة ما بين مجالين بصورة آليّة غير واعية، فيكون لديه "الحُبّ دافئًا" في قوله مثلا: "غمرني بدفء قلبه"، بحيث يربط الذهن ما بين الحرارة الجسدية الفيزيائية والحبّ المجرّد، وقد عزّزت نظرية التوازي القدرات الذهنية في علاقتها باللغة، بحيث أكّدت أن للإدراك البصري والفعل في العالم الفيزيائي دورًا أساسيًّا في بنْيَنة التصورات وفهم اللغة (غازيوي، 2019، ص40)؛ وهذا ما يفسّر معالجة الذهن لدالّ الحب في المثال السابق باسترجاع معلومات مخزَّنة في الدماغ بصورةٍ لا واعية عبر وسيط عرفاني، كما يوضّحه [شكل 1] التالي:

[شكل1]: دور الوسيط العرفاني في انبناء الدلالة.





إذ إنّ هذا الوسيط العرفاني "التصور" يبين لنا تفسيرًا عن كيفية معالجة الذهن للمعنى؛ فثمة عوامل تُسهم في تشكيل معنى المدخل، ومنها الإدراك الحسي، والتصورات الذهنية، والأنظمة المحيطية، والتجارب والخبرات، وغيرها، والعرفانية تفترض أنّ ثمة فرقًا بين المعاني داخل اللغة والمعاني خارجها، وتطرح مفهوم "التصوّر" الذهني كوسيط بين الدال والمدلول، فثمة ظواهر ذهنية تعلّل معالجة الذهن للخواص الدلالية للأشياء، وتعتمد - العرفانية - على آليات نظرية لتفسير معالجة الذهن للمفاهيم، لكونها تفترض مسبقًا أن المعاني في الذهن سواء أوافقت الخارج أم لا (أنطوفيتش، 2017، ص100).

إلاّ أنّ التساؤل المهمّ في ذلك، هو كيف يسترجع الذهن تلك المعلومات على شكل بنية لغويّة؟

4. المعجم الذهني والتمثيلات الذهنية:

إنّ دلالة الأشياء ليست بتحقق مصداقها في الخارج، بل إنّ للتمثيل الذهنيّ وعلاقته بالأنظمة المُحيطية والحسيّة دورًا مهمًّا في رسم تلك الدلالة؛ وذلك لأنّ التمثيل الذهني يقوم على استرجاع بعض المعلومات المخزنة في الذاكرة، ويبني من خلالها البنية اللغوية، ولعلّ تساؤلا إشكاليًّا يبرز إزاء ذلك، وهو: ما علاقة التمثيلات التصورية باسترجاع المخزون المعجمي من الذاكرة؟

بحثت عديدٌ من نظريات التمثيل التصوّري حول الإجابة عن هذا التساؤل الإشكالي[5]، ولعلّ من أبرز تلك النظريات: (فيرونيكا، 2020، ص ص180-187)

أ- نموذج الشبكة السلّمية hierarchical network model: ويفترض هذا النموذج أن المعلومات الدلالية للمفردة تعتمد على علاقتها بكلمات أخرى، وقد برهن «كولينز» (Collins) و«كويليان» (Quillian)أن التمثيلات الدلالية للمقولة الواحدة تخلق نسقًا سُلّميا تراتبيًا، فالكلمات في أعلى الشبكة كلماتٌ عامّة، والكلمات في أسفلها هي أكثر خصوصيّة.

ب- ونموذج تفعيل الانتشار spreading activation model: وهو نموذج انتقد ما ذهبت إليه الشبكة السلّمية، إذ يؤكد «كولينز» و«لوفتوس» (Loftus) أنّ تنظيم التمثيلات الذهنية ليس خاضعًا للرتبة السلمية، بل يمكن النفاذ إلى المفردة في المعجم الذهني بناء على تواتر الاستعمال والاستحضار الدلالي الذهني.

ج- ونموذج الخاصيّة الدلالية semantic feature model: وهو نموذج يعارض الشبكة السلمية، ويقترح "المقاربة المُكوِّنيّة" componential approach التي تقوم على تفكيك الكلمات إلى عناصر أوليّة. وهذه المقاربة تقترب مع ما ذهبت إليه «إليونور روش» في التركيز على العناصر النمطيّة الأوليّة فيما عُرف بنظرية النمط/أو الطراز الأوليّ.

وعلى الرغم من وجاهة نظرية الطراز/النمط الأولي Prototype theory، التي ذهبت إلى أن المعادل التقريبي approximate equivalent لمعنى الكلمة مع المفهوم الدلالي النمطي الأوّلي هو الذي يُحيل معنى الكلمة إلى فئة ما، فإنّ هذه النظرية لم تخلُ من نقد؛ ذلك لأنّ الموضوعات لا تخضع لتحديد إدراكاتنا الخاصة فحسب، بل إن معارفنا القبلية عنها تدخل في تمثيلها الذهني (صالحي، 2020، ص ص 125-127)؛ وهذا ما استدركته النظرية الموسّعة للطراز فيما بعد حيث برهنت أنّ للمعتقدات والأساطير والأفكار القبلية أثرًا في مقولة الأشياء وتصنيفها (البوعمراني، 2009، ص75)، مما يؤكّد أنّ المعجم الذهنيّ يُنشئه الفهم التجريبيّ والقبليات وعلاقة الذهن المتجسد بالمحيط من حوله.

كما انتقد «جاكندوف» نظرية الشبكة السلّمية بأنها لا تحلّ إشكالية الإبهام ولا إشكالية الشبه العائلي (جاكندوف، 2010، ص236)، ولعل هذا النقد ينطبق أيضًا على نموذج تفعيل الانتشار الذي يُعنى بمفهوم الاستحضار، ويقصد به أنه عند استحضار مفهوم ما فإن الذاكرة تنشر علامات تفعيل عن طريق تتبع مجموعة من الترابطات الشبكية، فيؤدي ذلك إلى استحضار مفهوم آخر يُربط به (العربي، وفؤاد، 2019، ص192)، إلاّ أنّ تتبع الترابطات الشبكية لا يحلّ أيضًا إشكاليّة الإبهام والوحدات اللغوية التي تقع في منطقة محايدة مقوليًا.

إذ إن من أبرز الاعتراضات على نظرية الشروط الضرورية والكافية بالنسبة لمعاني الكلم هو "الإبهام" أي إنها لا تخضع دومًا لثنائية (نعم-لا) فثمة حالات تقع على التخوم، ودلالات معجمية مبهمة لا تخضع لحكم مقولي صارم. (جاكندوف، 2010، ص221)، إذ إن العنصر (س) بحسب نظرية الشروط الضرورية والكافية إمّا أن ينتمي إلى المقولة (ص) أو لا، بصورة صارمة.

وإنّ الصرامة المقولية الأرسطيّة تقتضي أن يكون الماصدق أو المعنى مستقلًا تمامًا عن الفهم البشريّ، أي إنّ فهمنا للأشياء لا دخل له في تكوين المعاني وليس لأجسادنا أي دور في بناء التصورات، إلاّ أنّ معضلة "الإبهام" خرقت هذه الصرامة، ووجدت أن بعض الدلالات المعجمية قد تشترك في أكثر من حكم مقولي نظرًا لاختلاف الحالة الذهنية والجسدية للمتصوِّر،

وقد حاول بعض الباحثين حلّ إشكالية الإبهام بوصفها من الدلالات الموسوعيّة، حيث ذهب كاتز في محاولته للدفاع عن الشروط الضرورية والكافية إلى التمييز بين المعلومة المعجمية والمعلومة الموسوعية فيما يتعلق بتدرج الدلالات، مشيرًا إلى أنّ المبهمَ ليس من مشمولات الدلالة بل هو من النوع الموسوعي (المرجع السابق، 223)، إلاّ أنّ التمييز ما بين المعلومة المعجمية والأخرى الموسوعيّة لا يمكن البرهنة عليه بصورة دقيقة.

فالدلالة التصورية هي - بحسب تصوّر جاكندوف - مشروع ذهنيٌّ موسوعيٌّ، لا تتضمن الدلالةَ اللغوية فحسب، بل تتسع لتشملَ الذريعيات والفهم الإدراكيّ والمعرفة المجسدنة والتفكير والفهم الاجتماعيّ الثقافي وغيرها (جاكندوف، 2007، ص11، 19)، وهذا يعني أن الدلالة الموسوعية أعمّ من الدلالة القاموسية، بحيث يستطيع الذهن أن ينتج أنماطًا لغوية جديدة لمصوغات ذهنية بصورة لاواعية، وذلك بالنفاذ إلى المعلومات المخزّنة في الذهن والتي أسهم هذا المشروع الذهني في بناء أرضيّتها المعرفيّة، وفي تكوين معجم ذهني خاصّ.

فـ«جاكندوف» يرى أنّ المعلومات الموسوعية لا يمكن فصلها عن المعلومات المعجمية؛ لأنه لا يوجد حدٌّ فاصل صارم بينهما؛ ولذلك فإنّ معنى كلمة ما هو مجموعة كبيرة "غير متجانسة" من الشروط النمطيّة (جاكندوف، 2010، ص260)، وعدم التجانس يفضي إلى كون العلاقة بينها هي علاقة اعتباطيّة، لكنّها اعتباطيّة مُبرَّرةٌ بفهم الذات المُمَقولِة والمُنشِئة لتلك المعلومة، فهي تربط بين شيئين ربطًا ذهنيًّا بناء على تشابه بينهما.

فقد استبدل «جاكندوف» الشروط النمطية بالشروط الضرورية والكافية؛ وذلك لأن الذهن قد يصوغ مصوغات ذهنية غير متناهية لأنماط لغوية محدودة، بناء على فهم الذهن التجريبي والمدركات المحيطية. وقد كانت النظرية الموضوعية تُعالج معاني الكلم باعتبارها مجموعات من الشروط الضرورية والكافية، غير أنّ جاكندوف برهن على أنّ لمعاني الكلم بنية تصورية داخلية لا يمكن أن تكون مجموعةً من الشروط الضرورية والكافية وأثبت ذلك من خلال طرحه في إبداعية المقولة (النمط والمصوغ) (المرجع السابق، ص ص213-214)

حيث يُعرّف «جاكندوف» [المصوغ]: بأنّه منشأ ذهني لبنية داخلية معقّدة موجودة بالقوة يمكن إسقاطها في الوعي باعتبارها كيانا موحّدًا. و[النمط]: بأنّه المعلومة التي يُنشئها الكائن الحي ويُخزنها عندما يتعلّم المقولة. ويمكن شكلنة حكم مقولي بطريقتين كما يلي في [شكل2]: (المرجع السابق، ص ص164-165)

[شكل2]: شكلنة حكم مقولي:

أ. [نمط شيء ([مصوغ])]

ب. هو عيّنة من [مصوغ شيء].
[نمط شيء]

فمثلاً في قول الشاعر عدنان العوامي: (العوامي، 2017، ص130)

كذا نحن، مسكوبٌ على الناسِ ودُّنا إذا ضنَّ دهرٌ أن يسوغَ بهِ وُدُّ

تبدو هنا استعارة (الودُّ ماء) ويمكن شكلنتها وفق الشروط النمطية لجاكندوف كالتالي:

أ. [نمط شيء ([مصوغ])]
[النمط/الودّ ([المصوغ/الماء])]

ب. هو عيّنة من [مصوغ شيء].
[نمط شيء]
ما نسكبه هو عيّنة من [مصوغ/الماء]
[نمط/الودّ]

حيث يبدو الودّ هنا نمطًا أكسبه ذهن الشاعر فهمًا جديدًا فهذا الودّ هو ماءٌ مسكوب يمنح الحياةَ والاخضرار على الناس، وقد تَحقَّق هذا الفهم من خلال التخييل المجسدن للأشياء المجرّدة، إذ إنّ نمط (الودّ) وهو المعلومة اللغوية التي خزّنها ذهن المُقولِ ظهرت في صورة مصوغ ذهني معقّد، تم إسقاطه في بنية لغوية. إلاّ أنّ هذا الحكم المقولي قد اخترق مسألة الصدق الموضوعيّ، إذ لم يعد النمط ممثّلًا لماصدق خارجيّ بل هو تمثيل لماصدقات تصورية تخييليّة ذهنيّة.

وإذا كان النمط/الودّ - بحسب المنطق الحملي - محمولاً والمصوغ/الماء موضوعًا له، فإنّ مسألة الحقيقة الخارجيّة ليست حتميّة بالنسبة إلى الشروط النمطيّة - خلافًا لمنطق المحمولات - حيث قد تكون المقولة صادقة أو كاذبة، بالنظر إلى

تحققها في الخارج، ولكن قيمة الحقيقة الواقعية - بحسب الشروط النمطية - ليست جزءًا من إسقاطاتنا التصوريّة، بل إنّ الدالة/النمط ينبغي أن ترتسم في المكوّن التصوري التابع لمقولة أنطولوجية كبرى (جاكندوف، 2010، ص165).

والجدير بالذكر أنّ (الشروط النمطيّة) التي اقترحها «جاكندوف» تفضي إلى اتساع المعجم الذهنيّ، وتحلّ إشكالية الإبهام في المقولة، وتفسّر كيفية استرجاع المعلومات المخزّنة في الذهن عند إنشاء البنية اللغوية؛ ذلك أنّ للذهن دورًا مهمًا في تمثيل المعلومة، فهو يعقد تشابهات أسرية نمطية بين دوال مختلفة بناءً على الفهم التجريبي المجسدن، مما يعطي الذهن قدرة على التخيّل وإبداع المقولة، حتّى لو لم يكن لذلك النمط مصوغٌ بصريٌ، أي ليس للمحمول موضوعٌ بصريٌّ مجسدَن، فإنّ الذهن قادر على تخيل ذلك المصوغ وابتكاره.

فقد بيّن «جاكندوف» أن الصور الذهنية هي كيانات مسقطة تولّدها البنية التصورية التي تشبه الأشياء الواقعية، وبذلك فهي تتقاسم مع الصورة البصرية. فمثلا لو أراد شخص أن يتخيّل (نمطًا) ليس له إسقاط بصري – فرضا - فإنّ الذهن سيتخيّل (مصوغًا، عيّنة من نمط) (المرجع السابق، ص265)، أي إنّ الذهن بإمكانه أن يُنشئ مقولةً لمعنى ما، من خلال تخيّل مصوغ لصورة ذلك النمط، أي سيُنتج بنيةً مفهومية افتراضية تنسجم والشروط النمطية لذلك (النمط).

فالشروط النمطية أقل صرامةً من منطق المحمولات (المرجع السابق، ص168)، ومن الشروط الضرورية والكافية، إذ يمكن للمُمَقْوِل أن يبتدع - كما يشاء - (مفاهيمَ) أنماطٍ جديدة، ويُبيّن جاكندوف الطريقة السهلة لذلك: هو أن يُبنى "بالنسبة إلى [مصوغ أ] اعتباطي [نمطٌ] لأشياء تشبه [المصوغ أ] يكون فيه الشبه محدّدا مع أي صنف اعتباطي من الأبعاد، إذ لكلّ واحدٍ من [المصوغات] اللامتناهية التي يمكن للمرء أن يقيمها كردّ فعل على التحفيزات البيئية، ثمة عدد غير محدد من تلك [الأنماط] التي يمكن أن تستعمل بدورها لمقولة [المصوغات] اعتباطًا" (المرجع السابق، ص169). وتبدو إبداعية المقولة في كون المصوغات ليست دومًا من ضمن قائمة الأنماط، بل قد نجد منها عددا لا متناهيا، وهذا ما يفسّر اتساع المعجم الذهني وكيفية استرجاعه للمعلومة في شكل بنية لغويّة.

وما نعنيه هنا من اتساع المعجم الذهني هو أنّ توليد الأنماط وإنشاءَها إنّما يتمّ من خلال اتساع دائرة التشابه بين النمط والمصوغ، فيكفي أن يكون ثمة تشابه اعتباطيّ - يُنشئه المُؤوِّل - في أحد أبعاد المصوغ الذهني مع النمط اللغوي، وهو هنا يخرج من ضيق الشروط الضرورية والكافية (ش.ض.ك) الصارمة، إلى سعة التفكير الذهني وتأويله وفهمه للأشياء.

فللمرء أن يتخيّل مصوغاتٍ متعدّدة لنمطٍ سابق، فيرى مثلا أنّ الحبّ (النمط) هو رحلة أو رباط/حبل، أو حرارة، أو كيان مجسّد وغيرها من المصوغات المتعدّدة التي يسترجعها الذهن كردّ فعلٍ على التحفيزات البيئية، أي بسبب تفاعل الذات المدركة مع المحيط من حولها، والقبليات التي يخزّنها الذهن؛ فالنمط إذن يُحيل على مرجع ذهنيّ وهذا "المرجع يمثل قاعدة البيانات الأساسية السابقة التي يتخذها الفرد عند كل عملية معالجة" (علوي، وبوعناني، 2015، ص52).

والمعرفة اللغوية الفردية تتغيّر وفقًا للتجربة وتطوّر اللغات، وتبعًا لذلك فإن التمثيلات الذهنية تتغير لا سيّما إذا توقف النفاذ إلى المخزون المعجمي في الدماغ، حينها تنشأ معانٍ جديدة (أليونينا، 2020، ص92)؛ إذ إنّ توقّف النفاذ إلى المخزون يحتّم على المقولِ إنشاء معنى جديد أو إبداع مصوغٍ ذهنيّ، إلا أنّ هذا الإبداع - وإن كان اعتباطيًا - لمصوغ الأنماط هو مبرّرٌ، أي إن علاقة الإسقاط ما بين المصوغ والنمط تكشف عن فهم الذهن والتحفيزات البيئية التي استدعت منه ذلك الإبداع.



ذلك أنّ كلّ كلمة في الذهن لها "مدركات غير لفظية nonverbal precepts وتمثيلات تصورية، وصور مستمدة من تجربة الحياة الواقعية" (المرجع السابق، ص92)، وهذا ما يجعل استرجاعها بوصفها مصوغات لأنماطٍ ما مبرّرًا؛ إذ إنّ ثمّة تحفيزات بيئية تجريبيّة تؤثر في عملية النفاذ إلى تلك الكلمات في الأذهان.

إنّ استرجاع المعلومة اللغوية تتمّ بكيفية آلية لا واعية بحيث يقوم الذهن بعملية حوسبية إسقاطيّة، يربط فيها ما بين مصوغٍ ذهني ونمطٍ لغوي، وتجدر الإشارة إلى أنّ "المعجم الذهني لا يحيل فقط على المخزون المفرداتي الموجود في ذهن الفرد بل يحيل أيضا على مجموع التعالقات التي تقيمها الكلمات مع تمثيلاتها، وهي تمثيلات تمكن مستعمل اللغة من ربط مجموعة من الصور الصوتية التي يسمعها أو يراها بمعانٍ محددة " (العربي، وفؤاد، 2019، ص177)، بحيث يكون هذا الربط ناشئا من خلال وسائط عرفانية عدّة.

وقد حاول «كويليان» (Quillian) أن يفسّر كيفية بناء البنية الدلالية، وذلك من خلال اعتبار المعجم الذهني يشير إلى التمثيلات الذهنية، وأن هذه التمثيلات تتفرع إلى مستويين: تمثيلات تتأسس على الصورة/المفردة، وتنعكس على الخصائص الفونولوجية والإملائية للكلمة، وتمثيلات دلالية بين الكلمات (المرجع السابق، ص190).

إلاّ أنّ ما ذهب إليه «كويليان» من تفريع للتمثيلات إلى ذينك الفرعين يؤدي بالضرورة إلى كون التمثيل مقصورًا على عدد متناهٍ من الأنماط اللغوية والمصوغات المفاهيمية، وهذا قد لا يفسّر إنتاج [أنماط] أو [مصوغات] جديدة (جاكندوف، 2010، ص234)؛ لأنّ استرجاع المعلومة اللغوية وبناءها لدى كويليان يتم بوساطة خصائص الصورة اللغوية، أو من خلال العلاقات بين الكلمات المخزنة في الذهن، وهذا ما يجعل التمثيل محدودًا قاصرًا عن تفسير البنيات التخييلية التي تربط بين أنماط ومصوغات متباعدة وغير متوقعة.

إنّ استرجاع المعلومة المخزنة في الذهن يتم بوساطة بحث الدماغ عن المعنى المعجميّ الإحاليّ في الذهن الذي هو في حقيقته نفاذٌ إلى المعنى الموسوعيّ؛ ذلك أنّ الفصلَ الدقيق بينهما متعذّر - بحسب رأي جاكندوف، والذهن بإمكانه أن يعقد تشابهات اعتباطية بين أشياء متباعدة، ويكون هذا التشابه مبرّرا بالنسبة إلى الذات المؤوِّلة؛ وقد يدخل في تكوينه تفاعل الذات مع المحيط والتجارب والخبرات السابقة، فيُسقطُ كيانًا على كيانٍ آخر إسقاطًا تخييليًّا، ويُنشئ معاني تصوّرية.

5. التمثيل الذهني والمعنى التصوّري:

ليست المعاني التصورية مفاهيم وتمثيلات لانعكاس ماصدقات خارجيّة واقعيّة، إذ إنّ هذا الفهم الموضوعي للمعنى رفضه منظّرو العرفانية؛ لكونه يجعل المعنى لا علاقة له بمدركات الذهن وتأويلات المُمقولِ وتجاربه، أي إنّ المعنى ثابت ليس بنسبيّ أو متغيّر ولا دخل للفهم التخييلي في تكوينه.[6] في حين أنّ النظرية العرفانية توسّع لديها مفهوم "المعنى"؛ فللجسد وتفاعله مع المحيط والتجارب أثرٌ في تكوين التصوّر الذهنيّ.

فقد ذهب كل من «لايكوف» و«جونسون»، إلى أنّ للدماغِ بنيةً عصبيّة فيسيولوجية، تولّد البنى اللغوية والأنظمة التصوّرية، ولا تكتسب تلك الأنظمةُ المعنى إلا من خلال تفاعل الجسد مع محيطه؛ لذلك فإنَّ النزعةَ التجريبيّة، - لا سيّما في مبحث الاستعارة التصورية، تجمع ما بين الذاتية؛ لعنايتها بالآليات الخياليّة، والموضوعيّة؛ لما يستوجبه العقل من عمليّاتٍ ذهنيّة (مصمودي، 2017، ص ص86-87).

فالمعنى هو تصوّريّ تجريبيّ لدى العرفانيين وهو مختلفٌ تمامًا عمّا هو عليه في النزعة الموضوعية، إذ إن البحث عن إجابة سؤال المعنى يُعدّ من أبرز الإشكاليّات التي عالجتها الفلسفة واللغة على حد سواء قديمًا وحتّى اليوم. وحيثُ هيمَنَت النظرةُ الموضوعيّة على الفكر الفلسفيّ فإنّ المعنى باتَ يُنْظَر إليه بوصفه مجرّدًا، (غير مُجسدن)، وأنّ تعيينَه يتمُّ من زاويةِ تحقُّق شروطه في العالم الخارجيّ، وعلى ذلك فإنّ المعنى محلُّه خارج الذهن والجسد، بل هو تمثيلٌ لما هو واقعيّ متحقق في الخارج، وأنّ صدق المعنى يكمُن في ذلك التحقق، ويتحقق الماصَدُقَ extension للمفهوم بانطباقه على كيانات واقعية في الخارج لا دخل للذهن المجسد في تحديده أو تأويله (آل حرز، 2021، ص74).

بَيدَ أنّ هذه النظرةَ لم تعد مقبولةً لدى العرفانيين، فـ«لانقاكر» (Ronald Langacker) مثلاً يطرح في كتابه (النحو العرفاني) السؤالَ التالي: هل محلّ المعاني الذهن؟ ويُجيبُ بأنّ المعاني - من منظور المقاربة العرفانية - محلُّها أذهان المتكلمين، أي إنّ تعيين المعاني يقترن مع التصورات الذهنيّة، وهذا يقتضي أنْ تكونَ الرؤية الدلاليّة العرفانيّة - كما أكّد ذلك «لانقاكر» - تنظر إلى المعنى من جهة كونه مشتقًّا من التجربة البشرية (ابن دحمان، 2012، ص ص41-42) فتكون الماصدقات مشتقة من فهم الذات المتصوِّرة لها؛ وذلك بإحالتها على تصور الذهن لها في الخارج.

وإنّ أبرز نظريات المعنى العرفانية هي نظرية الطراز التي أسّستها «إلينور روش»، وهي نظرية أكّدت دور الذهن في عملية انبناء المقولة وأنّ لأذهان المتكلمين وعرفانهم دورًا أساسيًّا في نسبة الأشياء إلى المقولات التي تنتمي إليها (ابن مراد، 2010، ص56). وقد مرّت نظرية الطراز بمرحلتين: النظرية المعيار الأصلية، والنظرية الموسّعة، حيث استبدلت الأولى الخصائص النمطية بين الشيئين، والتشابه الأسري، استبدلتهما بالشروط الضرورية والكافية لدى أرسطو. أما النظرية الأخرى الموسّعة فقد وسّعت من أهميّة التشابه العائلي في الانتماء للمقولة، فالمقولة أضحت مبررة ليست من خلال الصلة التي تجمع بين الأنماط المختلفة وكيان وحيد هو الطراز (المرجع السابق، ص ص58-59)، بل أضحى التشابه بين الشيئين ولو في خصيصة واحدة يجعل الشيء مبررًا لانتمائه داخل مقولةٍ ما.

وجديرٌ بالذكر أنّ تطوّر مفهوم المقولة لدى علماء الدلالة العرفانيين لاسيما عند منظري مفهوم الطراز الموسّع مثل «دانيال ديبوا» (D. Dubois) أسهم في تعدّد المعنى بعد أن كانَ أحاديًّا صارمًا؛ وذلك حين نُظر إلى الطراز بأنه ليس النموذج الأمثلَ، بل هو مكوَّن من خاصيات قد لا تجتمع في قيمة عينية، فالطرازُ بناء على ذلك هو تمثيل ذهنيٌّ لا ماديّ، وقد لا يكون له تمثيل واقعي حقيقيّ (البوعمراني، 2009، ص25)، أي أنّ التمثيل هنا ذهني تصوّري فهو يعكسُ فهمَ الذات المؤوِّلةِ في مَقْوَلَتها للأشياء؛ لذلك فالمقْوَلة نسبيّةٌ ليست يقينية، وهذا ما يمنح المصوغ الذهني أو التمثيل الذهني تعدّدًا لا محدودًا من الأنماط اللغوية والتمثيلات اللغوية.

إنّ هذا الفهم الجديد للطراز قدّم مفهومًا جديدًا للمقولة، حيث قد تشترك بعض عناصر المقولة في خاصيةٍ ما، وليس ضروريًّا أن تجتمع فيها جميع خاصيات المقولة، وهذا بطبيعة الحال يُعطي اتساعًا وتعدّدا لعناصر المقولة الواحدة، وبما أنّ الذهن يبني تمثيلاً داخله لعنصرٍ ما في المقولة، ولا يتقيّد بماصدقات ماديّة، فإنّه بذلك يمنح المعنى اتساعًا ونسبيّة، إذ إنّه يرفض صرامة الدلالة الأحاديّة. ذلك لأنّ المقولة الطرازية تقوم على عدد من الفرضيات:

- المقولة تمتلك بنية داخلية ذهنية طرازية.
- انتماء عنصر إلى مقولة ما يعود على درجة مماثلته للطراز.



- حدود المقولات الصارمة ضبابية.
- عناصر المقولات لا تملك خاصيات مشتركة بينها جميعًا، بل هي تتعالق على أساس التشابه الأسريّ (المرجع السابق، ص31).

إن درجة مماثلة العنصر للطراز إنّما يقرّرها ذهن المُمَقْوِل وفهمه وإسقاطاته التخييلية على الأشياء، وهذا وإن كان قد جعل حدود المقولة ذات ضبابية وليست صارمةً، فإن من محامد هذه النظرية ما آلت إليه من اتساع المعنى وجعل التصورات الذهنية للأشياء منبثقة من تفاعل الذهن مع المحيط والموجودات من حوله؛ ذلك لأنّ "بناء المعنى يعادل بناء التّصور" (ابن دحمان، 2012، ص49) والتصورات الذهنية هي تمثيلاتٌ عصبيّة تحيل على ذهن الممقول وفهمه للأشياء من حوله.

فالبنية التصورية إذن هي تمثيل ذهني، حيث الذهن والتخييل واللاوعي المعرفي والتجسّد مؤثرات في بناء ذلك التصور؛ إذ إن التمثيل اللغوي على سبيل المثال ليس انعكاسًا لما هو متحقق في الخارج بل هو تمثيل لمدركات الذهن وتفاعلها وفهمها لذلك الشيء في الخارج، حيث تقوم فرضية البنية التصورية على "افتراض مستوى تمثيلي واحد تنسجم فيه المعلومات اللغوية والحسية والحركية، وتتعارض هذه الفكرة جوهريا مع التصور الذي يعتبر الواقع مستقلا عن الكيفية التي نتمثله بها" (غنيم، 2019، ص218)، وهذا يعني أنّ الواقع يندمج مع التصورات الذهنية، فتنشأ بنية أو تمثيلا ذهنيًّا قائمًا على التجربة والفهم التخييلي، أي إن التمثيل الذهني هو قصديُّ الأفكارِ بواسطة الفهم التجريبيّ.

6. القصدية/العنيّة، من الفكر إلى اللغة:

التصوّر العرفاني المجسدن هو منزلةٌ بين الواقعية والمثالية، فهو يجعل من الجسد طريقًا لفهم هذا العالم وموجوداته، فالعالم ليس وجودًا مستقلًّا عن الذات ليس للذهن دور في تكوين تمثيلاته، وهو ليس مثاليًّا محضًا. إن التصور تجريبي يقع - من منظور «فاريلا» (Varela) و«طمسون» (Thompson) و«روش» (Rosch) - يقع بين المثالية والواقعية"من حيث كان الواقعي قائمًا على جعل العالم مستقلًّا في وجوده عن الوعي الحسّيّ به، وهو عالم لا يتمكن الجسد من الوعي إلا به من خلال تمثيلاته التي يختزنها، ومن حيث كان المثالي رفضًا لوجود ذلك الواقع خارج ذهن الذات المعرفنة" (الزناد، 2017، ص10)؛ إذ إن التمثيل الذهني ليس تمثيلا حوسبيًّا آليًّا ليس للدماغ وللجسد دور في إكسابه المعنى.

فالذهنُ مجالٌ وصفيّ بين اللاوعي الفرويدي والمادّة الفيزيائية (غاليم، 2011، ص53)، لذلك فإنّ الذهن يُنشئ التصورات وفقًا للميتافيزيقا أو اليد الخفيّة - حسب تعبير لايكوف وجونسون - المتحكمة في أنساقنا، ووفقًا للتجارب الماديّة في المحيط من حولنا. إلاّ أنّ التساؤلَ المهمّ هنا هو: كيف ينشأُ التصوّر في الذهن؟ أو كيف يُشكِّلُ العقلُ المعنى؟ وهو في الواقع سؤال شغل بعض الفلاسفة واللغويين، وبحثوا عن نظريّةٍ للمعنى تفي بالإجابة وتبين كيف تكتسبُ الأشياء معانيها؟

فإذا كان عالم الموجودات لا يُفهَم إلا من مركزية الجسد والتمثيلات المختزنة حوله، فإنّ هذا الفهم لن يكون إلّا إذا انتوى هذا الذهن أن يفهمَ ذلك الشيء، أو قصدَت فكرتُه التمثيلَ إلى شيء آخر، فالأفكار لديها ما يسميه الفلاسفة بالعَنِّيّة aboutness أو النيّة (جارسون، 2018، ص ص221-222)، أي أن الأفكار قصدية، وهي لذلك ليست اعتباطية غير مبرّرة، ولمّا كانت كذلك فإنّ ما يُكسبه الذهن من معانٍ على الأشياء هو أمرٌ مبرّرٌ غيرُ اعتباطيّ؛ ذلك لأنّ تمثيل شيء من خلال شيء آخر يتم عبر تشابهٍ أو سبب أو وظيفة أو تأويل يبرّر للمُمَقْوِلِ تمثيلَه الذهنيّ.

إنّ التمثّل الذهني للأشياء مرتبط بالعلاقة التي تُقيمها الرموز مع مؤوّليها، أي أنّ للأشياء وظيفة تمنحها إياها قصديّةُ مستعملي اللغة، إذ إن التمثيلات الذهنية للمؤوّلين هي التي تمنح للأشياء والرموز معانيها (ريكاناتي، 2016، ص ص107-108). ولا يتمّ هذا التأويل إلا عبر التمركز الجسديّ أي من خلال تأويل ذهن الذات المُقولِة وفهمها للأشياء بوساطة تفاعل الجسد مع محيطه والتجارب والخبرات السابقة والثقافة والإيديولجيا وغيرها.

فالتمثيل الذهني هو تمثيل العالم بواسطة الحالات الذهنية، وسواء أكان التمثيل من خلال الصورة أم اللغة، فإنّه لا يمكن أن يكون حالة ذهنية إلا بواسطة تأويل مستعملها؛ إذ إن الحالة الذهنية هنا هي ما يُماثل المعتقد والرغبة والنيّة والقصديّة وغيرها. (كرين، 2019، ص ص42-55)

فالإسقاطات الاستعارية، وتصنيف العناصر ضمن مقولةٍ ما، وتمثيل شيء لشيء آخر، كل ذلك يدخل تحت دائرة "الحالات الذهنية"، حيث ينشغل فيها الذهن بالتفكير عن شيء آخر إزاءَها، فمثلاً يقول الشاعر «عدنان العوامي»: (العوامي، 2017، ص235)

ما لهُ أسبلَ الجناحَ وأغفى   سئمَ الأفقَ أم تهيّبَ رفًّا؟

حيثُ نلحظ انشغال ذهن الشاعر بالمرثيّ، وتمثيله إياه بالطائر الغافي هو تمثيلٌ مبرّر؛ لأنّ الجملة (أسبل الجناحَ) لا تريد أن تقول إن المرثيّ قد مات! بل هي تستلزم مضمونًا قضويًّا يكشف عن مكانة المرثيّ ودوره الرفيع في المجتمع والحياة، لذلك بعد أن اعتملت الفكرة في لاوعْي الشاعر تمثّلت في عبارة لغوية استعارية تخييلية أسقط فيها سمات من مقولة الطائر على ذات المرثيّ، كالتحليق والحركة، فإذا به الآن يسبل جناحه ويغفو!

إنّ الاستلزام التخاطبي في عبارة (أسبل الجناح) كشف لنا عن قصدية هذه الفكرة، أي عن الاستلزام التداولي pragmatic implication لهذه الاستعارة، إذ إنّ الاستلزام التخاطبي تداوليًّا يدخل ضمن الخطاطة الآتية: المتكلم في أثناء قول (أ) يستلزم (ب)، شريطة أن يدفع قصدُ المتكلم أن يتعرف السامع ما تستلزمه العبارة (ريكاناتي، 2018، ص ص118-119)، حيثُ يبدو المضمون القضوي في معرفة توجُّه ذهن المتكلم نحو ماذا؟ أي في التفكير في الاقتضاء التداولي[7]، حيث يبحث السامع في الفكرة التي يتبناها ذهن المتكلم أو يتجه نحوها.

هكذا يبدو المعنى في نظرية الدلالة التصورية عبارة عن تمثيلات ذهنية تشكّل بنيةً تصورية، إذ إنّ هذه البنية هي جزء من الفكر لا اللغة، وتقوم هذه البنية على أوليات كيانات تصورية، تنسجم عبر مبادئ تأليفية كالروابط المنطقية وعلاقات الدالّات بموضوعاتها وبالاقتضاءات وغيرها. (غاليم، 2011، ص ص57-58)، إذ إنّ التمثيل الذهني الاستعاري ذو مضمون قضوي ذهني، وما يظهر على سطح العبارة اللغوية إنما هو تمثيلٌ لما في الذهن؛ لذا لابدّ من تأويله لاستكناه تلك البنية التصورية.

إنّ اللغة حاملة للأفكار، إلّا أنّ ما يُعنى به البلاغيّ أو مؤوِّل الكلام هو البحث عن الاقتضاءات المتضمَّنة في تلك العبارات، أي في استكناه قصدية تلك الأفكار، فقد أثبتت فرضية استقلال الدلالة عن التركيب - كما ذهب إلى ذلك «جاكندوف» - أنّ الأفكار موجودة قبل نقلها عبر وسيط اللغة، وما اللغة إلا نظامٌ تأليفي للتعبير عن الفكر[8]، ولذلك ما يبدو واضحًا في فهمنا للتمثيل الذهني واللغوي، هو في حقيقته أمر معقّد جدًّا، فكيف انبنت تلك التصورات في الذهن؟ ولماذا قصدت الأفكارُ ذلك القصد؟ وما الذي حدا بالذهن لتمثيل شيء ما بشيء آخر؟

ولعل أطروحة قصدية الأفكار تحلّ لنا هذا التعقيد في فهم كيفية التمثيل الذهني، إذ إنّها تكشف عن انسجام ما بين التمثيلين الذهني واللغوي، مما يجعله انسجامًا مبرّرًا وغير اعتباطي، لأنّها تفسّر لنا سبب تمثيل الذهن هذا الشيء بذلك، لما يختزنه الذهن من فهمٍ وتجارب وقبليات وخبرات وغيرها، وإذا كان العرفانيون يرون انسجام الاستعارة مع التجربة، كما بيّن «لايكوف» و«جونسون» أن الاستعارات وإسقاطاتها ليست عشوائية، بل تُشكّل أنسقة منسجمة مع ثقافتنا التجريبية (لايكوف، وجونسون، 2009، ص59)، إذا كان ذلك كذلك فإنّ ذلك الانسجام لم يتأتّ إلّا لكون الأفكار تحمل قصديةً هي بالضرورة منسجمة مع تجاربنا وتأويلاتنا للأشياء من حولنا.

ذلك لأنّ القصدية intentionality هي التي تفسّر الطبيعة التمثيلية لحالات الذهن، وهي المرادف لمصطلح العَنّيّة aboutness ، إذ إنها تعني التوجُّهيّة نحو شيء ما أو هي التفكير عن شيء ما (كرين، 2019، ص ص65-67). والاستعارة هي من أوضح الحالات الذهنية التي يُسقط فيها الذهن كيانات من التجربة والتأويل والفهم على كيان آخر أكثر تجريدًا، أي إنّ الاستعارة هي تمثيل ذهني تخييليّ انبنى في اللاوعي ثم تَمثَّل في قالبٍ لغويّ، وتجدر الإشارة إلى أنّ التمثيل الذهني تخييليّ قائم على الفهم الاستعاري أي أنّ الذهن يفهم مجالا أكثر تجريدًا من خلال فهمه لمجالٍ مادّيّ محسوس أو متخيّل يتسم بصفات المحسوس، وهذا بعينه لا يخرج عمّا أطلق عليه الفلاسفة بالقصدية أو العنّيّة.

إلاّ أنّ هذه القصديّة/العمديّة غير الاعتباطية للأفكار جعلت الفلاسفة في حيرةٍ في اكتناه سبب هذه العَنّية، أي كيف تنشأ القصدية أو العَنّيّة؟ ولماذا فهم الذهن ذلك الشيء من خلال الشيء الآخر؟ ثمة أربع نظريات حاولت حلّ هذه الإشكاليّة والكشف عن كيفية انبناء التصورات والمعاني في الذهن، وهي: (جارسون، 2018، ص ص233-239)

أ- نظرية التشابه، وهي ترى أنّ ثمة تشابهًا بين الشيء والصورة الذهنية حوله.

ب- النظرية السببية للمضمون، ومفادها: أن ثمة روابط سببية يُنشئها الذهن بين التصور والمضمون، فالفكرة أو التصور إنما يستحث في الدماغ المُفَكَّر فيه، فتنشأ حينئذ التصورات، لوجود روابط سببية بين التصور والمضمون.

ج- نظرية الوظيفة البيولوجية، فالتصورات الذهنية تنطلق من منظور الوظيفة البيولوجية.

د- نظرية الدور السببي أو الدور الوظيفي، ومفادها أن معنى الشيء يتحدد بنوعية الاستدلالات حوله، فإذا عرفنا أن هذا قطّ، استدللنا على أنه حيوان، أليف ... وهكذا

إلاّ أنّ هذه النظريّات، وإن صحّ تطبيقُها على بعض الحالات، فإنها لم تخلُ من إشكال، فكلها قد لا تنطبق على بعض الحالات الذهنية، أو أن بعض الحدود فضفاضة قد تنطبق على أكثر من عنصر، فمثلا لو أخذنا نظرية التشابه بين عنصرين، وليكن التشابه وفق نظرية الطراز الموسّعة، فإنّ "س" يُشابه "ص" في بعض السمات ولذلك فإنّ الذهن أسقط فهمه لـ "ص" على العنصر "س"، إلاّ أن حدود التشابه هنا فضفاضة بمعنى أن "ص" قد يشترك مع "ع" في بعض السمات، فلماذا لم يُسقط الذهن فهمه لـ "س" من خلال فهمه لـ "ع"، ذلك لأنّ "كلّ شيءٍ بمعنًى ما يشابهُ كلَّ شيءٍ آخر" (كرين، 2019، ص45) في بعض الخصائص؛ ممّا يجعل نظرية التشابه غير كافية لتفسير هذا الانبناء الذهنيّ.

وأما النظرية السببية فقد تبدو في بعض الحالات غير ضروريّة في التصور، أي إن ثمة تفكيرًا قد يحدث ليس ناتجا عن سبب ما (جارسون، 2018، ص235)، وأما ربط التصور بالوظيفة البيولوجية فهو لا يكفي لحلّ مشكلة نشوء الأفكار في الذهن وإن استطاعت تبرير بعض الحالات الذهنية؛ ذلك لأنّ معرفة الوظيفة البيولوجية وإضفاءها على الأشياء ليس بالأمر الهيّن،

فتفسير تلك الوظيفة البيولوجية هو في حقيقته إجابة عن السؤال الصعب: لماذا هذا الشيء موجود؟ مما حدا ببعض الباحثين إلى القول بأن الطريق الوحيدة لذلك التفسير هو "التسليم بعملية الانتخاب الطبيعي" (المرجع السابق، ص232)، ولا يخلو هذا الأمر من إشكال لكون عملية الانتخاب الطبيعي ليست محلّ اتفاق بين العلماء.

وأمّا نظرية الدور السببي فهي قريبة من المصطلح المنطقي: "الدلالة الالتزاميّة"، حيث تدل الكلمة على ما يلازمها في الذهن (الشريف الجرجاني، د.ت، ص92) ، فكلمة (قط) مثلا تدل على لازمة ذهنية وهي أنه حيوان أليف ... إلاّ أنّ هذه النظرية غير كافية لتفسير انبناء التصور في الذهن مطلقًا، وغير ضرورية أيضًا، فثمة دلالات أخرى غير سببية وغير وضعية، كالدلالات الطبعية مثلا. ولذلك اضطر مؤيدو هذه النظرية لقبول نظرية معنى أخرى داعمة لفهم الحالات الذهنية وتفسيرها (جارسون، 2018، ص239).

إنّ مفهوم القصديّة[9] في محاولته لتفسير الطبيعة التمثيلية لحالات الذهن هو معضّدٌ لأطروحة أسبقية الفكر على اللغة؛ ذلك لأنّ الذهن يعمل عملاً تأويليًّا بفهمه لشيءٍ ما من خلال فهمه لشيء آخر فهمًا قائمًا على الركيزة التخييليّة المتجسّدة، ثمّ تكشف اللغةُ عن ذلك الفهم، إلاّ أنّ اللغة لا تخبرنا عن سبب نشوء ذلك الفهم وسرّ انبناء التصوّر. ولعلّ نظرية واحدةً للمعنى قاصرةٌ عن الكشف سرّ نشوء التصورات الذهنية؛ ذلك لأنّ سؤال المعنى هو أكبر من الإجابات المطروحة حوله، فهو أهمّ سؤالٍ فلسفيّ جدليّ، ما زال يمثّل مفتاحًا تنطلق منه كثير من الدراسات الفلسفية، وإنّ البحث عن المعنى يلزم منه البحث عن مفهوم الصدق.

7. التمثيلات الذهنية مفهومٌ جديدٌ للصدق:

لعله ليس مجانبًا للصواب أنّ البحث في قصديّة المعنى هو بحثٌ حول سؤال (ما هو الصدق؟)، فالمعنى أو المفهوم الذهني مثلا وفق نظرية الشروط الضرورية والكافية يحيل على مصداق أو كيان خارجي، أي إن الصدق هنا هو واقعيّ صارم ليس للدماغ أو الجسد دور في تكوين المعنى أو ذلك المفهوم.

هذا الصدق الواقعي أي العلاقة بين اللغة والواقع ليس بذي أهميّة لدى العرفانيين، إذ إن نظرية التمثيلات - لدى العرفانيين - تجعل من الإسقاط الذهني، أي الخاصيات التي يُسقطها المتصوّرون على الأشياء، تجعل منها مفهومًا جديدًا للصدق (جاكندوف، 2010، ص413)؛ ذلك لأنّ هذه الإسقاطات الذهنية يعمل فيها الذهنُ المتجسّد، أي أن ثمة تمركزًا جسديًّا في فهم الأشياء، فبالجسد نفهم العلوّ والدنوّ والأمام وغير ذلك.

والتمثيل الذهني - وفق المنظور العرفاني - ما هو إلاّ نظرةٌ جديدة لمفهوم الصدق، فالصّدق يكمن في عمليّة الإسقاط الذهنيّة؛ إذ ينشأ في الذهن تمثيلٌ لشيءٍ ما يُشبه ذلك الشيء في الخارج، أي إنّ الصدق ليس في انطباق الصورة الذهنية مع الشيء في الخارج، بل هو تشابه هذا التمثيل مع ذلك الشيء في الخارج ولو كان التشابه في أحد أبعاده، إذ لا بدّ أن ينشأ تمثيل ذهني لذلك الشيء، وثمة عوامل عديدة تُسهم في نشوء هذا التمثيل، كالأنظمة المحيطية والتجربة والفهم المتمركز على التجسّد، فإنْ لم يكن لذلك الشيء تمثيل في الذهن فلا يمكن عدّه صادقًا؛ لأنّه "إذا لم يكن لكيان مثل ك في العالم الواقعي تمثيل في ذهن المتكلم م، فإنّ ك لا وجود له عند م، أو ليس في متناول م" (غاليم، 2011، ص53).



فالرموز والتمثيلات الذهنية، بحسب التيار الموضوعي الأرسطيّ، تكتسب معناها بمقابلتها مع الواقع الخارجي (لايكوف، 2012، ص323)، أي إنّ المعاني لا تكون صادقة إلا بمقابلتها مع الدوالّ في العالم الواقعي الموضوعيّ، دون أن يكون للذهن دور في إضفاء تمثيل آخر على تلك الدوالّ الخارجيّة، وهذا ما نقضته العرفانية إذ أكّدت أنّ المعاني ما هي إلاّ عمليات تصوّرية وتمثيلاتٌ ذهنية وليست "محيلةً على إسقاطات للمدلولات على دوالّ العالم الخارجي" (الحسني، 2020، ص171). وهذا التحول في فهم التمثيلات الذهنية من الموضوعية إلى التصورية أعطى المعنى اتساعًا وأخرجه من الحدود الصارمة إلى رحابة النسبية، وجعل للذهن دورًا فاعلا في رسم المعنى.

فالمعاني ليست صورة فوتوغرافية لمداليلها في الخارج، وهي لذلك لا يمكن الحكم بصدقها أو كذبها، فهي ليست مفاهيم منطبقة بصرامة على مصاديق في الخارج، بل المعاني تمثيلاتٌ تصوّريّة، حيث يقوم مستعمل اللغة بتشكيل المعنى وفق تصوراته هو، لا كما هي في الخارج (المرجع السابق، ص177)، ولو كان التمثيل واقعيا لما حدث اختلاف بين مستعملي اللغة في إضفائهم معاني على الأشياء من حولهم.

ولمّا كانت المعاني بنية معلوماتٍ مرمّزة في الذهن البشريّ، أو هي تمثيل ذهني (غاليم، 2011، ص52)، فإنّ الطرح العرفاني بَرْهَن على أنّ هذا الترميز أو التمثيل هو تصوّريّ ينشأ من الجسد وخبرتنا المعرفية اللاواعية والتخييلية[10]، إذ إنّ خبرتنا المعرفيّة إنّما يتمّ تشكيلُها عن طريق عقلٍ متجسّدٍ (جلجر، وزافي، 2017، ص110)، وهذا ما يؤكّد أن المعاني ليست انعكاسًا لما هو في الخارج، بل إنّ فهمنا للأشياء يتشكّل من خلال الاستعارة والمجاز والتخييل وفق مركزية جسدية؛ لذلك فإنّ المعنى يكون صادقًا إذا كان له تمثيل ذهني تصوّري.

إنّ التمثيلات الذهنيّة - بحسب الطرح العرفاني - تجعل من الجسد وسيطًا مهمًّا في فهم الألفاظ ومعانيها، أي إن مرجع الإحالة للفظ ليس لمعناه في الخارج مباشرة بل إلى تصورات الذات العارفة نفسِها، وقد ناقش العرفانيون كلايكوف وجونسون مفهوم الإحالة والصدق الموضوعيين الواقعيين في كتابهما "الفلسفة في الجسد" وفنّدا ذلك الطرح الفلسفي التقليديّ الذي لا يرى للجسدِ أيّ دور في بناء المعنى (لايكوف وجونسون، 2016، ص ص149-159)، وأكّدا أنّ الصّدق في أساسه متوقف على الفهم المتجسّد، فما نعتبره صادقًا يتوقف على فهمنا المتجسّد لذلك الوضع، وهذا الفهم يتشكل بواسطة عوامل عدّة: كثقافتنا وتفاعلاتنا في محيطنا وقدرتنا على التحرك ومعالجة الأشياء، فالصدق ليس مجرد علاقة بين الألفاظ والعالم دون توسط الجسد (المرجع السابق، ص ص158-159).

هذا الفهم الجديد للصدق ينأى بالتمثيلات الذهنية عن زعم الحقيقة المطلقة أو الواقعية المنفصلة عن الجسد، بل إنّ الصدق العرفاني يرى أن المعاني ليست ذات حقيقة مطلقة ثابتة كما زعمت الفلسفة القديمة، وليست نسقًا من العلاقات الدلالية داخل النظام اللغوي المغلق بحسب تصور البنيوية، وليس المعنى تداوليًا فحسب، بل هو تراكم معرفي من خلال التجربة والسياق والمفهمة والثقافة وعلاقة الجسد بالمحيط، والخبرات السابقة (محسب، 2013، ص51).

8. خاتمة:

يمثّل مفهوم المقولة التصورية ركيزةً رئيسة تتقوّم بها النظرية العرفانية، وإنّ الحديث عن المقولة يلزم منه البحث عن معنى التمثيل الذهني، وهذا الأخير يفتح باب التساؤل حول معنى المعنى والإحالة والصدق، وقد حاول هذا المقال أن يُجيب عن تساؤلٍ مركزيّ هو: كيف تُنشئ التمثيلاتُ الذهنيةُ المقولةَ وفق المنظور العرفاني؟ حيث حاول الكشف عن كيفية إنشاء المقولة وأنّها هي نتاجُ تمثيل ذهنيّ معقّد، تعمل في تكوينه عواملُ عدّة، منها: الأنظمةُ المحيطية البيئيّة وتفاعل الجسد مع ذلك المحيط، والثقافةُ، والخبرات السابقة، والتجربة المجسّدة، والفهم التأويلي للذات العارفة.

وقد أدّت تلك العوامل إلى اتساع في المعجم الذهني للذات المتصوّرة بحيث تستطيع توليد أنماطٍ لغوية لا محدودة من مفاهيمَ محدودة، وأنّ للذهن قدرة استثنائية في إنشاء معانٍ جديدة بحسب تفاعل الدماغ ومدركاته ومعالجته للموضوع.

وإذا كان من قدرة الذهن أن يُنشئ معانيَ جديدة فذلك لكونه ذا قدرة على عقد روابط بين أشياء متباعدة؛ مما يبرهن على أن المعنى تصوري طرازيّ، أي إن التمثيل الذهني تصوريّ؛ حيث الذهن والتخييل واللاوعي المعرفي والتجسّد مؤثرات في بناء ذلك التصور.

كما أنّ عقدَ الذهن لتلك الروابط بين الأشياء ليس عقدًا اعتباطيًّا غيرَ مبرّر، بل هو قصديّ، أي إنّ الذهن يتجه نحو فكرةٍ ما عند إنشائه لذلك التمثيل، فالتمثيل الذهني للأشياء مرتبط بالعلاقة التي تُقيمها تلك الرموز مع مؤوّليها، وفهمهم وإسقاطاتهم الاستعارية، وإنّ هذه القصديّة رغم بساطتها هي أكثر تعقيدًا مما يُتصوّر، حيثُ إنّ الذهن في ابتداعه للمقولة أو ربطه بين شيئين متباعدين، لم يُنشئ ذلك إلاّ بعد تشكّل الأرضية المعرفية لفهم الأشياء من خلال مستحثّات عديدة، وهذا ما يُعطي تفسيرًا مقبولاً لكيفية انبناء الدلالة وأنها بحق مشروع ذهني كبيرٌ - بحسب تعبير جاكندوف.

وقد أنتجت هذه القصدية الذهنية اتساعًا ونسبيّة غير صارمة في مفهوم الصدق، إذ إن التمثيل الذهني القصدي هو نظرةٌ جديدة في مفهوم الصدق، فما نعدُّه صادقًا هو ما يُحيلُ على تصوراتنا عن الأشياء في العالم الخارجيّ، والجسد هو مرجع الإحالة للرموز، أي إنّ الجسد وسيط بين الرموز والعالم الخارجيّ.

الهوامش:

1- كان المعنى/الدلالة إلى حد كبير يُعدّ ثانويا في الدرس اللغوي واللسانيّ (عيساوي، 2015، ص70) ، كما نجده لدى التيار الرئيس للنحو التوليدي، حيث لم يولِهِ تشومسكي أهمية كعنايته بالتركيب. (جاكندوف، 2007، ص19) و ، ويُرجع جون لاينز إهمال دراسة المعنى في اللغة لا سيما ما بين عام 1930 ونهاية الخمسينيات، إلى الاعتقاد السائد آنذاك من أن المعنى أمر ذاتي يقع خارج التقصي العلمي، وإلى تأثير علم النفس السلوكي في بعض المذاهب اللغوية الأمريكية؛ مما أدى إلى الإهمال النسبي لعلم الدلالة اللغوي في الدراسات اللغوية، في حين عنيت المدارس الفلسفية والمنطقية بمسألة المعنى أكثر، ويعود اهتمام الفلاسفة بالمعنى لكونه يدخل في القضايا الفلسفية كقضية الحقيقة والمعرفة (لاينز، 1987، ص17) و (لا ينز، 1980 ،ص10). وإن كان للنظرية التوليدية فضل في تغيير مسار المذاهب اللغوية الأمريكية وانحسار تأثير علم النفس السلوكيّ، فإن المعنى لم يعد مركزيًّا لديها. بيد أنّ العرفانية جعلت للمعنى مركزيةً في الدرس اللساني.

2- وللاستزادة كذلك يُنظَر: (محسب، 2017، ص14).



[3]- الماصدق أو المصداق extension - بحسب النظرية الفلسفية التقليدية - هو ما يدلّ على المفهوم في الخارج أو هو عيّناته، ويُعرَفُ بكونه: مجموعة أشياء حقيقية أو مثالية، عينية أو مجردة، ينطبق عليها عنصر معرفيّ، أي هي بالنسبة إلى المفهوم: مجموعة أشياء يمكنه الدلُّ عليها (يكون محمولها). فالإنسان مفهوم عامّ ينطبق على مصاديق عدة مثل زيد وعمرو. يُنْظَر: (لالاند، 2011، 398)

[4]- لا نعني بالدلالة النفسانية هنا فكرةَ الإيحاء أو التداعي النفسي لصورة الدالّ في دماغ الإنسان بحسب تصوّر "دي سوسير" عند حديثه عن ثنائية الدال والمدلول وطبيعة الإشارة اللغوية الاعتباطيّة وعلاقة الربط السايكولوجي بين تلك الثنائية. للاستزادة ينظر (سوسير، 1985، ص ص84-86). بل نقصد بالدلالة النفسانية أنّ الأشياء تكتسب معناها وإسقاطاتها التصورية من خلال فهم الذات الممقولِة، وقد يكون هذا الفهم فرديًا خاصا أو فهمًا وفق جماعةٍ لغويّة، أو ضمن مجتمع ثقافي.

[5]- للاستزادة يُنظَر: (سزوبكو سطريك، 2020، ص ص 159 -222)

[6]- دحَض فلاسفة العرفان الطرح الموضوعي للمعنى، وبيّنوا -مثل لايكوف وجونسون- أنّ نسقنا التصوريّ إنما هو تخييليّ في أغلبه، فبالاستعارة يتأسس فهمنا للأشياء، وبذلك يكون المعنى التصوري نسبيًّا غير صارم. يُنظر: (لايكوف، وجونسون، 2009، ص77)

[7]- عرّف «ستالينكار» "الاقتضاء التداوليّ" على النحو التالي: "تُعتبر قضيّة "ق" اقتضاءً تداوليًّا لمتكلّم ما، في سياقٍ معيّن، إذا تبنّى المتكلّم "ق" أو اعتقد أنّ "ق"، وإذا تبنّى أو اعتقد أنّ مخاطبه يتبنّى أو يعتقد أنّ "ق"، وإذا تبنّى أو اعتقد أنّ مخاطبه يعترف بأنّه يقوم بهذه الفرضيّات أو له هذه الاعتقادات". (ريبول، وموشلر ، 2010، ص 250)

[8]- يعود الفضل في هذه الفرضية إلى «جاكندوف» في نقده لنظرية "مركزية التركيب" لتشومسكي، إذ يؤكد جاكندوف في نظرية هندسة التوازي أنها هندسة تتصل بالعرفان، إذ تعمل كنظام يقود نفسه إلى إنتاج الملفوظات للتعبير عن الفكر التأليفيّ، وهذا الأمر يُغاير ما ذهبت إليه اللسانيات التوليدية التشومسكيّة من كون الفكر ينشأ بعد اللغة، وأنّه يستحيل وجوده بدون اللغة، بيد أنّ هندسة التوازي تؤكّد أنّ معاني الجمل ما هي إلاّ أفكارٌ متآلفة تنقلها اللغة عبر التراكيب، فالفكرُ يوجد قبل اللغة وبدون اللغة أيضًا، وما مهمّة تأليفيّة اللغة إلاّ نقل الأفكار المتآلفة والموجودة قبلاً. يُنظَر: (غازيزي ، 2019، ص37)

[9]- يرفض جاكندوف أي حديث عن "قصدية التمثيلات الذهنية"، أي يرفض كون التمثيلات الذهنية تمثيلات "حول" العالم، بمعنى من المعاني المباشرة، مخالفًا بذلك سيرل Searle وفودور Fodor. وجاكندوف لكونه اختار البنية الذهنية بدلاً عن التمثيل الذهني، فهو يختار دراسة البنيات الذهنية باعتبارها نوعًا من الهندسة، وهي بذلك تستغني عن القصدية. وإن كان قد وافق ضمنًا أو سلّم جدلًا على كون البنيات الذهنية هي مرتبطة مباشرة بالعالم عن طريق القصدية، فإنه جعل أهميّة للمشروع التجريبي المتعلق بتخصيصها لذاتها. يُنظر: (جاكندوف،2020، ص75)

[10]- تحت تساؤل (كيف يُعيدُ العلمُ المعرفيّ فتْحَ القضايا الفلسفيّة المركزية؟)، ذكر «جورج لايكوف» و«مارك جونسون»، ثلاثَ نتائجَ كُبرى توصّل إليها العلمُ العرفاني، هي: 1- الذهن متجسّدٌ أصلاً. 2- الفكر لا واعٍ في غالبيته. 3- التصورات المجرّدَة استعاريّة بشكلٍ كبير. وبهذه النتائج نقض الباحثان كثيرا من الأفكار الفلسفية الغربية. يُنظر: (لايكوف، وجونسون، 2016 ، ص37)

المراجع العربية

أ.ج.أليونينا، المعجم الذهني،(2020م)، في ربيعة العربي وآخرين (محررين)، *المعجم الذهني، النمذجة والتقييس، نصوص مترجمة*، (ص ص89-119)، دار كنوز المعرفة-عمّان .

ابن دحمان، عمر،(2012م)، دراسة المعنى من منظور دلالي معرفيّ، *مجلة الخطاب-مخبر تحليل الخطاب*، جامعة مولود معمري تيزي ويزو - الجزائر، (10)، 41-52.

ابن مراد، إبراهيم، (2010م)، في كفاية المقاربة الطرازية في علم الدلالة، *أعمال الندوة المهداة إلى روح الأستاذ عبدالله صولة: الدلالة النظرية والتطبيقات*، (ص ص55-63)، جامعة منوبة - تونس.

آل حرز، عبدالعزيز، (2021م)، *استعارة العقل في لزوميات أبي العلاء المعري مقاربة عرفانية*، دار تكوين - جدة.

أنطوفيتش، ميهايو، (2017م)، مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، (حليمة بو الريش، ترجمة)، مجلة فصول، (100)، 96-105.

إيفانز، فيفان وجرين، ميلاني،(2017م)، ما هو علم الدلالة الإدراكي؟، (أحمد الشيمي، ترجمة)، *مجلة فصول* - الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، (100)، 78-.95

البوعمراني، محمد الصالح، (2009م)، *دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني*، مكتبة علاء الدين- صفاقس.

جارسون، جاستن، (2018م)، *العقل البيولوجي مدخل فلسفي*، ترجمة: حسين ثابت، المركز القومي للترجمة- القاهرة، ط1،

جاكندوف، راي، (2010م)، *علم الدلالة والعرفانية*، (عبدالرزاق بنور، ترجمة)، دار سناترا-تونس.

جاكندوف، راي، (2020م)، *اللغة والوعي والثقافة*، أبحاث في البنية الذهنية، (محمد غاليم، ترجمة)، دار الكتاب الجديد- بيروت.

جاكندوف، راي، (2007)، الدلالة مشروعا ذهنيا، في جاكندوف وآخرين، *دلالة اللغة وتصميمها*، (غاليم وآخرين، ترجمة)، (ص ص 11-40)، دار توبقال- المغرب.

جلجر، شان وزافي، دان،(2017م)، العقل المتجسد، (بدر الدين مصطفى، ترجمة)، *مجلة أوراق فلسفية*- القاهرة، (54)، 107-.136

الحسني، عبدالكبير، (2020م)، *الدلالة لمعرفية ومشروع بناء هندسة للمعنى*، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع- الأردن.

دي سوسور، فردينان، (1985)، *علم اللغة العام*، (يوئيل يوسف عزيز، ترجمة)، سلسلة آفاق عربية- بغداد.

ريبول،آن وموشلر،جاك، (2010م)، *القاموس الموسوعي للتداولية*، (مجموعة من الأساتذة، ترجمة)، بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا- تونس.

ريبول،آن وموشلر،جاك،(2016م)، لماذا يحتاج تحليل الخطاب إلى نظرية ذهنية؟، (ذهبية حمو الحاج، ترجمة)، *تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب*، (ص ص157-183)، دار كنوز المعرفة- عمّان.

ريكاناتي، فرانسوا،(2016م)، *فلسفة اللغة والذهن*، (الحسين الزاوي، ترجمة)، منشورات ابن النديم- الجزائر.

ريكاناتي، فرانسوا،(2018م)، *المعنى الحرفي*، (أحمد كروم، ترجمة)، دار الكتاب الجديد-بيروت.

الزناد، الأزهر،(2017م)، *اللغة والجسد*، مركز النشر الجامعي-تونس.

سزوبكو سطريك، فيرونيكا، (2020م)، نمذجة المعجم، لمحات عامّة، في ربيعة العربي وآخرين (محررين)، *المعجم الذهني، النمذجة والتقييس*، نصوص مترجمة، (ص ص159-222)، دار كنوز المعرفة-عمّان.

الشريف الجرجاني، علي، (د.ت)، *معجم التعريفات*، (محمد صدّيق المنشاوي، تحقيق)، دار الفضيلة- القاهرة.

شفارتس، مونيكا،(2018م)، علم الدلالة الإدراكي، ما حالة النمط وإلى أين؟، *بحوث في علم اللغة الإدراكي*، لمجموعة من اللغويين المعاصرين، (سعيد حسن بحيري، ترجمة) ، (ص ص9-21)، مكتبة زهراء الشرق-القاهرة.

صالحي، سهام حملاوي،(2020م)، الكلمات في الذهن، في ربيعة العربي وآخرين (محررين)، *المعجم الذهني، النمذجة والتقييس*، نصوص مترجمة، (ص ص119-136)، دار كنوز المعرفة-عمّان.

صولة، عبدالله،(2002م)، المقولة في نظرية الطراز الأصليّة، *حوليات الجامعة التونسية* - تونس، (46)، 369-388.



العربي، ربيعة وفؤاد، أشرف ،(2019م)، المعجم الذهني مقاربة متعددة الاختصاصات، ضمن *أشغال المؤتمر الثاني: أسئلة حديثة في البحث اللساني، مقاربات وتحليلات*،(ص ص175-201)، مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون- مكناس.

علوي، إسماعيل لمراني وبوعناني، مصطفى،(2015م)، اللغة والتواصل الموجه: مقاربة فيزيائية ومعرفية، في مصطفى بوعناني وبنعيسى زغبوش (محررين)، *اللغة والمعرفية، بعض مظاهر التفاعل المعري بين اللسانيات وعلم النفس*، (ص ص43-66)، عالم الكتب الحديث-الأردن.

العوامي، عدنان السيد محمد،(2017م)، *ينابيع الظمأ*، أطياف للنشر والتوزيع- القطيف، السعودية.

عيساوي، عبدالسلام،(2015م)، من المعنى إلى المعنى، ضمن أعمال: *مؤتمر قضايا المعنى في التفكير اللساني* (ص ص69-94)، جامعة منوبة – تونس.

غازبوي، محمد،(2019م)، *السيرورات المعرفية الثلاثية الأبعاد في النظرية الدلالية المعاصرة، نموذج نظرية الدلالة التصورية*، دار كنوز المعرفة-الأردن

غاليم، محمد، (2011م)، هندسة التوازي النحويّ وبنية الذهن المعرفية، *آفاق اللسانيات: دراسات- مرجعات- شهادات: تكريمًا للأستاذ الدكتور نهاد الموسى*، (ص ص 51-66)، دراسات الوحدة العربية- بيروت، لبنان.

غاليم، محمد،(2010م)، المعنى والإحالة في الإطار التصوري، مجلة *أبحاث لسانية*، جامعة محمد الخامس- معهد الدراسات والأبحاث للتعريب- المغرب، (ع27، 28)، 7-28.

غنيم، أميرة،(2019م)، *المزج التصوري، النظرية وتطبيقاتها في العربية*، مسكلياني للنشر والتوزيع- تونس.

كرين، تيم،(2019م)، *الذهن الآلة: مقدمة فلسفية للأذهان والآلات والتمثيل الذهني*، (يُمنى طريف الخولي، ترجمة)، المركز القومي للترجمة- القاهرة.

لالاند، أندريه، (2011م)، قاموس لالاند الفلسفي، (خليل أحمد خليل، ترجمة)، منشورات عويدات- بيروت.

لايكوف، جورج وجونسون، مارك،(2009م)، *الاستعارات التي نحيا بها*، (عبدالمجيد جحفة، ترجمة)، دار توبقال-الدار البيضاء المغرب.

لايكوف، جورج وجونسون، مارك،(2016م)، *الفلسفة في الجسد*، (عبدالمجيد جحفة، ترجمة)، الكتاب الجديد-ليبيا.

لايكوف، جورج، (2012م)، نساء ونار وأشياء خطيرة: ما تكشفه المقولات حول الذهن، ترجمة: عفاف موقو، في عزالدين مجدوب (محرر)، *إطلالات على النظريات اللسانية والدلاليّة في النصف الثاني من القرن العشرين، ج1*، (ص ص315-346)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة".

لاينز، جون، (1980م)، *علم الدلالة*، (مجيد الماشطة وآخرين. ترجمة)، كلية الآداب - جامعة البصرة- العراق.

لاينز، جون، (1987م)، *اللغة والمعنى والسياق*، (عباس عبدالوهاب، ترجمة)، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد.

محسب، محي الدين،(2017م)، *الإدراكيات، أبعادٌ إبستمولوجية وجِهاتٌ تطبيقية*، كنور المعرفة- عمّان.

محسّب، محيي الدين، (2013م)، الإدراكيات والتأسيس المعاصر لعملية النقد الأدبي، مجلة *علامات في النقد الأدبي*- النادي الأدبي بجدة- السعودية، (76)، 35-69

مصمودي، وسيمة، (2017م)، *المقاربات العرفانيّة وتحديث الفكر البلاغيّ*، دار كنوز للنشر- الأردن.

مفيد، الخامس، (2020م)، فلسفة الذهن: من مقاربة أفلاطون إلى الثورة الإدراكية، *مجلة اللسانيات العربية*- مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية -الرياض، (11)، 97-128.

المقدميني، الحبيب،(2019م)، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، في صابر الحباشة (محرر)، *دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع*، (ص ص93-118)، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية - الرياض.

المقديني، الحبيب،(2010م)، الاستعارة والكناية في الدراسات اللسانية العرفنية، *في أعمال الندوة المهداة إلى روح الأستاذ عبدالله صولة: الدلالة النظرية والتطبيقات*، (ص ص479- 491)، جامعة منوبة - تونس.

بيانات الباحث :

د. عبدالعزيز علي آل حرز، معلم بوزارة التعليم، تخصص اللغة العربية، الإدارة العامة للتعليم بالمنطقة الشرقية، حاصل على الدكتوراه في اللغة العربية تخصص الأدب والنقد والبلاغة، من جامعة الملك فيصل بالأحساء، عام 2020م، تدور اهتماماته البحثية حول اللسانيات العرفانية والبلاغة الجديدة.

AUTHOR BIODATA

Dr.Abdulaziz Ali Al-Herz is a teacher at the Ministry of Education, specializing in Arabic language, General Administration of Education in the Eastern Province. He obtained his PhD degree in Arabic language in (2020) from King Faisal University, in Al-Ahsa. His research interests include Cognitive Linguistics and New Rhetoric.

معرف أوركيد **(ORCID)** : 0009-0009-7898-7697

Email: aherz22@hotmail.com

مجمع الملك سلمان
العالمي للغة العربية
King Salman Global Academy for Arabic Language


مجمع الملك سلمان
العالمي للغة العربية
King Salman Global Academy for Arabic Language


اللسانيات العربية
The Arabic Linguistics Journal

